

كعبُ الأحبَار

KA'AB AL AHBAR





تأليف:

الدكتور إسرائيل أبو ذؤيب

أستاذ اللغات السامية بدار العلوم والجامعة المصرية سابقاً

DR. ISRAEL BEN ZEEV (ABU ZUAIB)

April 1, 2008

Arabic

راجع الكتاب وأعده للطبع: محمود عباسي

مَطبَعة الشرق التعَاونية

شعفاط ــ القدس

تلفون ٢٨١١٦٢

כעב אלאחבאר

(יהודים ויהדות במסורת האיסלמית)

מאת

ד"ר ישראל בן זאב (אבו ד'ואיב)

הביא לדפוס

מחמוד עבאסי

DR. ISRAEL BEN ZEEV (ABU ZUAIB)

KA'AB AL AHBAR

Jews and Judaism in the Islamic Tradition

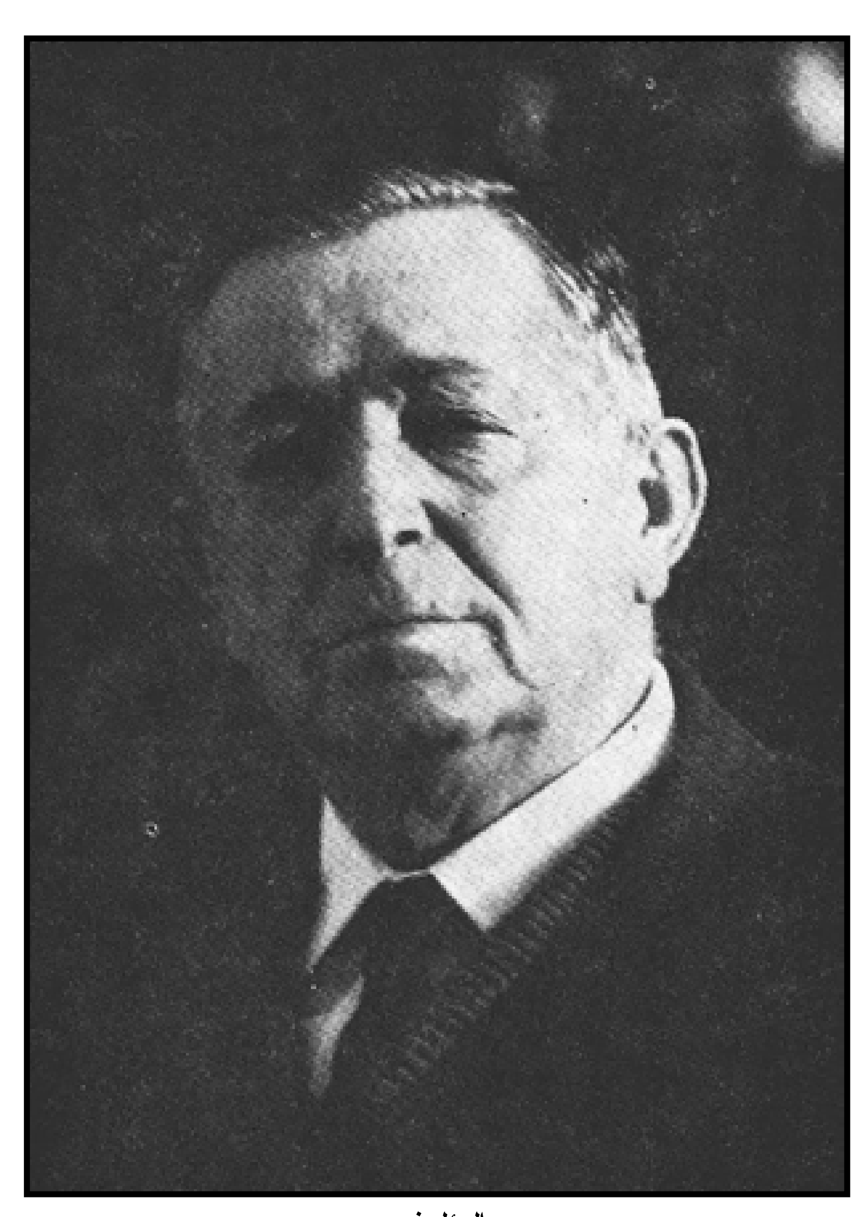
Jerusalem 1976 ● القدس ١٩٧٦ ● ירושלים 1976

شكر وتقدير

أتقدم بالشكر إلى مستشار رئيس الوزراء للشؤون العربية السيد شموئيل طوليدانو، على تشجعيه المادي والمعنوي، كما أشكر السيد عمانوئيل كوبليفتش مدير قسم التعليم العربي في وزارة المعارف والثقافة، والسيدة ياعيل فيريد رئيسة قسم الشرق الأوسط في وزارة الخارجية، والسيد شلومو ناوي، مدير الشؤون الإسلامية في وزارة الأديان، والسيد يوسف فيشر مدير مؤسسة صندوق «القدس» على مساهمتهم وتشجعيهم في إصدار هذا الكتاب، وأشكر جميع من ساعد وساهم في سبيل إصدار هذا الكتاب.

وأخيراً وليس آخراً، أتقدم بالشكر والامتنان لصديقي الأديب محمد عباسي، الذي راجع مخطوطة كتابي «كعب الأحبار» وأعدها للطبع.

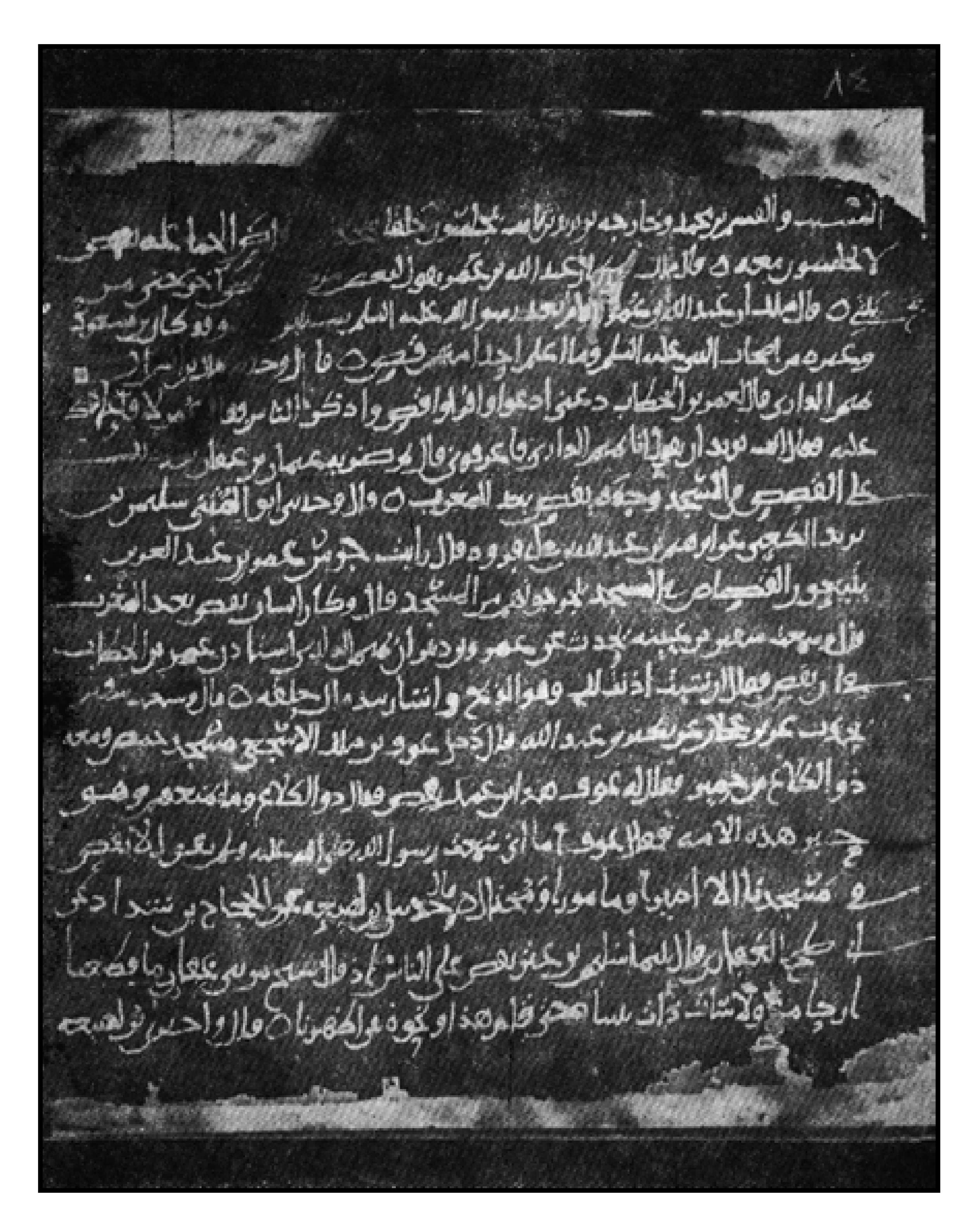
إسرائيل أبو ذؤيب



المؤلــف:

الدكتور إسرائيل أبو ذؤيب

[Blank Page]

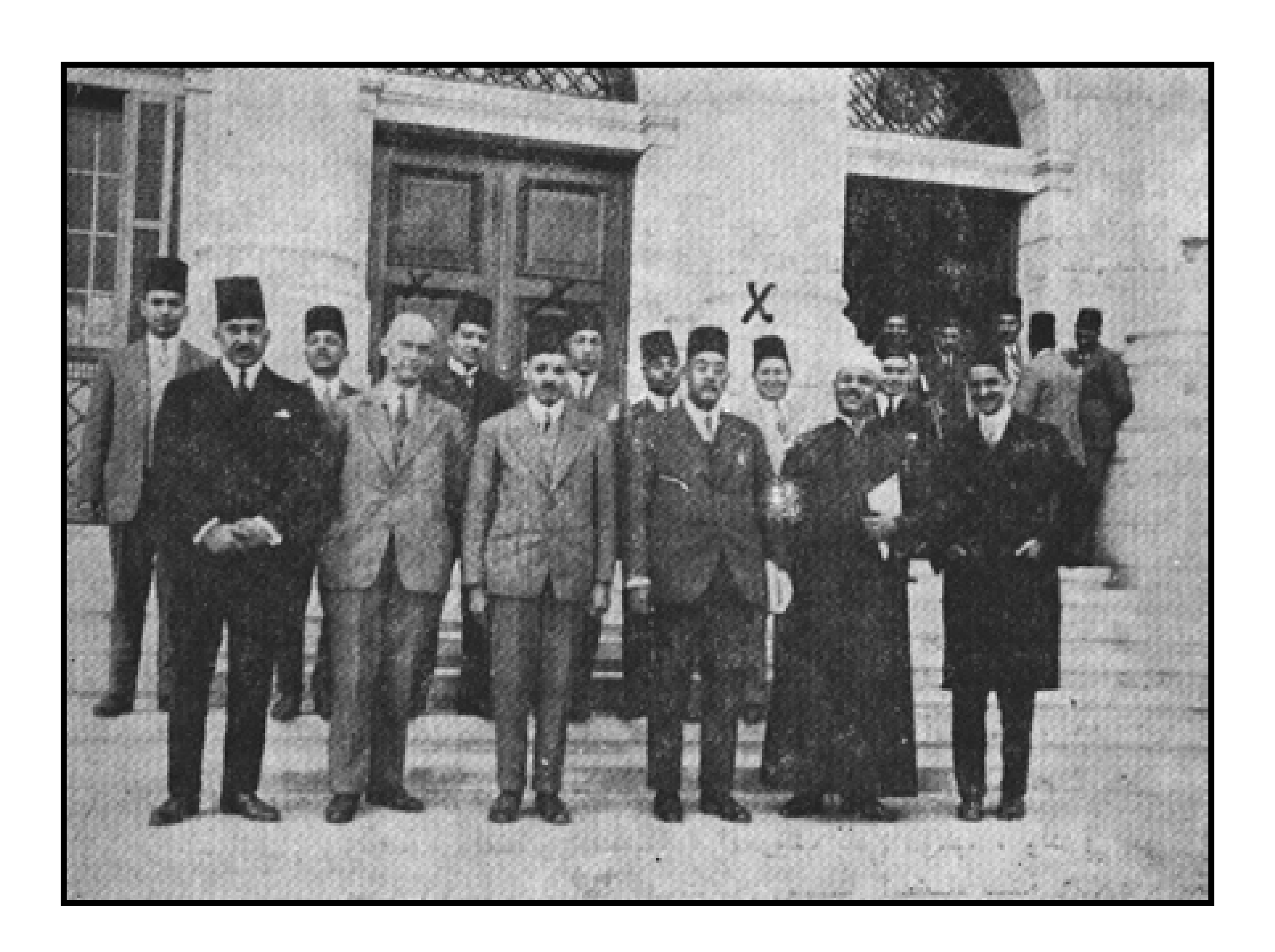


صفحة من الكتاب المخطوط للإمام عبد الله بن وهب المصري، بدار الكتب المصرية بالقاهرة.

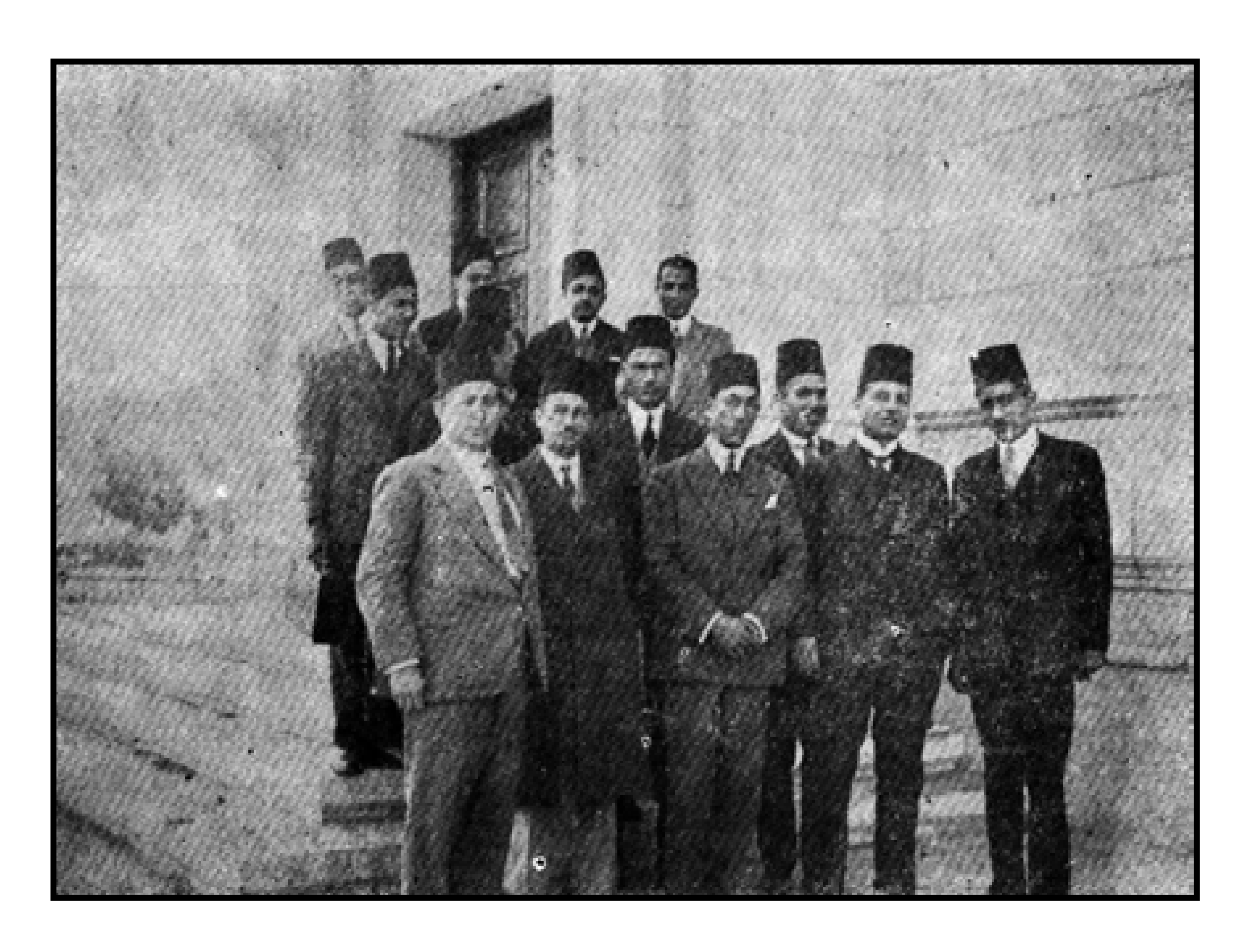
«راجع التمهيد ص ١٨»

تقديم

تسنى لي التعرف إلى العالم الجليل، الأستاذ أبو ذؤيب قبل حوالي عشرين سنة في مؤتمر للأدب الشعبي في حيفا، وأجريت معه حينذاك مقابلة نشرتها في ملحق اليوم الأدبي، وتوطدت علاقتي بالدكتور إسرائيل أبو ذؤيب مع مر الزمن، إلى أن تطورت إلى علاقة ثقة وصداقة بعد أن كتبت عن قصة علاقته الأدبية العلمية مع الملك عبد الله، وحكاية المخطوطة النادرة لكشاجم وأعني بها مخطوطة «المصائد والمطارد» قبل أكثر من ثلاث سنوات. ومن خلال ترددي على بيت الأستاذ أبو ذؤيب، اطلعت على دراسته الفريدة عن كعب الأحبار، فراجعت هذه الدراسة الهامة بإمعان، فوجدت أنها شاملة وافية، تتناول سيرة أعظم شخصية دينية اعتنقت الدين الإسلامي، وساهمت مساهمةً فعالةً في مجال التراث والحديث وعلوم الدين والتحليل في الأدب الإسلامي.



الدكتور أبو ذؤيب برفقة طه حسين وأحمد أمين وعدد من أساتذة الجامعة المصرية



الدكتور أبو ذؤيب مع مجموعة من طلابه وإلى جانبه تلميذه اسحق موسى الحسيني

وكان المؤلف قد قدم كتابه «كعب الأحبار» كأطروحة لإجازة الدكتوراة، وقد خولته هذه الدراسة القيمة بالفعل نيل إجازة الدكتوراة بالفلسفة في إحدى جامعات ألمانيا سنة ١٩٣٣.

ومنذ ذلك الحين والدكتور أبو ذؤيب يتمنى أن يصدر هذه الدراسة بين دفتي كتاب، إلا أن مشاريعه الأدبية والعلمية الأخرى، لم تترك له متسعاً من الوقت ليحقق حلمه هذا. وقد أسعدني أن أتبنى فكرة إصدار هذا الكتاب إلى عالم النور، فعملنا معاً على مراجعته وإعداده للطبع منذ أكثر من سنتيْن، وها هو الكتاب يرى النور أخيراً.

بعد هذه اللمحة الموجزة عن فكرة إصدار هذه الدراسة عن كعب الأحبار، الحبر اليهودي الذي اعتنق الإسلام أيام الخليفة عمر بن الخطاب، وأصبح فيما بعد مرجعاً يشار إليه في البنان بكل ما يتعلق بالحديث والتفسير، أرى من واجبي أن أقدم إلى القراء الكرام لمحة عن حياة وأعمال المؤلف.

هو إسرائيل بن زئيف «ولفنسون سابقاً» المعروف بأبي ذؤيب، وُلد في حي مئة شعريم في القدس سنة ١٨٩٩، لعائلة قدمت من روسيا البيضاء سنة ١٨٠٩، ينتمي إلى عائلة متدينة محافظة، فدرس في الكتّاب، وفي المدارس الدينية

اليهودية ثم انتقل من مدرسة «لامل» إلى «دار المعلمين» حيث أحاط هناك بشتى العلوم الأدبية والعلمية، التي تركت بصماتها على نفسيته، أنهى دراسته عام ١٩١٦، ومارس مهنة التعليم في مدرسة يهودية أهلية في يافا.

بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى أخذ يبدي اهتماماً بالعلاقات اليهودية ـ العربية، فعاد إلى مقاعد الدراسة، وهذه المرة إلى «دار المعلمين» التي كان يديرها الدكتور خليل طوطح، والأستاذ أحمد سامح الخالدي فيما بعد. أتقن اللغة العربية في هذه المؤسسة وتتلمذ على يد الشاعر العراقي الكبير معروف الرصافي، والأديب اسعاف النشاشيبي، حيث ظل من أقرب أصدقائه حتى وافته المنية. وكان المفتي الحاج أمين الحسيني من زملائه، وكذلك السيد محمد نمر الهواري قاضي المحكمة المركزية في الناصرة.

وكان أول طالب يهودي من فلسطين وربما آخر طالب يلتحق بجامعة القاهرة سنة ١٩٢٢، وينال فيها إجازة الدكتوراة. وفي سنة ١٩٢٩ سافر إلى ألمانيا والنمسا، والتحق بعد ذلك في جامعات فيينا، وميونيخ وبرلين، وحاز على إجازة دكتوراة في الفلسفة من جامعة فرانكفورت.

وفي سنة ١٩٣٣ عين محاضراً في دار العلوم بجامعة القاهرة، وعمل سكرتيراً للجالية اليهودية في القاهرة. وقد وضع عدداً من المؤلفات والكتب باللغة العربية، ووطد علاقات ود وتقدير مع أعلام الأدب العربي في مصر والعراق.

في سنة ١٩٤٠ استدعته اللجنة القومية الإسرائيلية ليتسلم منصب رئيس قسم المعارف لتعليم اللغة العربية في المدارس اليهودية. ثم عين بعد قيام الدولة مفتشاً على تعليم العربية في المدارس اليهودية واحتفظ في منصبه هذا حتى سنة ١٩٦٥. تعرف إلى الملك عبد الله الذي كلفه بتحليل ودراسة مخطوطة كشاجم النادرة **المصائد والمطارد**، وقد حل ضيفاً مرات عديدة على بلاط الملك وكان من المقربين إليه.

له ستة مؤلفات باللغة العبرية وسبعة كتب باللغة العربية، من أشهرها كتاب **تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الإسلام**، وقد قدم لهذا الكتاب أستاذه وزميله فيما بعد المرحوم الدكتور طه حسين عميد الأدب العربي. أما كتابه الثاني فهو **موسى بن ميمون**، حياته ومصنفاته الذي قدم له مصطفى عبد الرزاق وزير الأوقاف الإسلامية آنذاك. ومن كتبه بالعربية كتاب **اللغات السامية**، وكتب تدريس اللغة العربية في المدارس الثانوية العبرية. كما صدر هذا الكتاب الذي بين يدينا باللغة الألمانية عام ١٩٣٣ في فرانكفورت.

وهناك دراسات وكتب أخرى للمؤلف تنتظر دورها لرؤية النور وآمل أن يتحقق ذلك في حياة المؤلف، وفقه الله وسدّد خطاه، وأطال عمره.

محمود عباسي.

مساعد وزير المعارف والثقافة



الدكتور إسرائيل أبو ذؤيب عندما كان محاضراً في جامعة القاهرة

تُراث مَسْلَمةِ يَهُود الجَزيرَةِ العَرَبيةِ
في أدب الرَوايَةِ الإسلامِيّة

[Blank Page]

يشعر الباحث في العلوم الدينية الإسلامية بشيء غير قليل من الغموض، يحيط بتطور الثقافة الإسلامية وتاريخ نشأتها في العصور الإسلامية الأولى، ويدرك أن سبب ذلك عائد إلى عدم وجود مصنفات مستفيضة حديثة عن حياة رجال الحديث وأصحاب الأسانيد من الصحابة والتابعين.

ومن العجيب، أنه مع فرط العناية بعلوم الدين، في جميع الأندية الإسلامية لم يدوّن كتاب واحد في سيرة حياة رجال الرواية، أمثال عبد الله بن عباس وأبي هريرة وكعب الأحبار وغيرهم، مع أن دراسة دقيقة والوقوف على جميع العوامل التي أثرت فيهم، هي أقوم طريق وأفضل وسيلة للإحاطة بتاريخ نشأة الثقافة الإسلامية القديمة.

وقد فكرت في أنْ أمهد لبحثي المفصل المخصص لحياة كعب الأحبار، وهو أعظم رجل يهودي اعتنق الإسلام في عصر الخلفاء الراشدين، بكلمة عامة عن فريق من المحدثين يمت بصلة إلى اليهود الذين أسلموا في مستهل القرن الأول للهجرة. أقدم هؤلاء اليهود هو عبد الله بن سلام، وكان صديقاً مخلصاً للرسول منذ وصوله إلى يثرب(١) وكان من أتقى الصحابة في المدينة(٢)، وإليه نُسبت جملة أحاديث وردت عند أحمد بن حنبل(٣) ومالك بن أنس والترمذي(٤) وغيرهم كذلك نُسب إليه كتاب قديم منذ الفترة الهجرية الأولى عُرف باسم «**أسئلة عرضها عبد الله بن سلام على النبي**» ولما وجد هذا المصنف رواجاً عظيماً في الأقطار الإسلامية تنافس في شأنه المتنافسون من المؤلفين وضموا إليه معلومات شتى إلى أن عرف بكتاب «**الأسئلة الألف**»(٥)، وكذلك عثرنا بدار الكتب المصرية بالقاهرة على رسالة صغيرة نسبت إلى عبد الله بن سلام، تُعرف باسم «**كتاب في عظمة الله**»(٦) وهي بلا شك من الرسائل المنحولة في عصور إسلامية متأخرة وهي مدسوسة عليه. وكانت وفاة عبد الله بن سلام بالمدينة في سنة ثلاث وأربعين للهجرة، أما

---

(١) سيرة رسول الله، لمحمد بن اسحق، رواية عبد الله بن هشام طبع وستنفلد بمدينة جوطا بألمانيا سنة ٦٠ ـــ ١٨٥٦، ج ٢ ص ٣٥٢هـ.

(٢) من مظاهر محبة الرسول لعبد الله بن سلام ما يُقال من أن بعض الآيات القرآنية قد نزلت فيه مثل «وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله» (سورة الأحقاف ١٠) قالوا: اسمه عبد الله بن سلام، أو «قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب» (سورة الرعد ٤٣): الطبقات الكبرى، لابن سعد، ليدن ثمانية أجزاء ج ٢ قسم ثان ص ١١١. الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني طبع كلكته بالهند ج ٤ ص ٨١.

(٣) مسند أحمد بن حنبل، ج ٥، ص ٤٥٢.

(٤) اسعاف المبطا برجال الموطأ لجلال الدين السيوطي، طبع مصر، سنة ١٣٤٣، ص ١٩٨. صحيح الترمذي، طبع التازي مصر ج ١٣ ص ٢١١.

(٥) G. F. Pipper: Het Boek der Duizend vragen, Leiden 1924.

(٦) فهرس الكتب العربية بدار الكتب المصرية، ج ٧، قسم ٢، ص ٤٤٣.

ابنه أحمد الذي عمر طويلاً وعاش في العراق واتصل في شيخوخته بالخليفة هرون الرشيد، فكان قد أشاد بفضل والده وحافظ على أخباره وأبلغها إلى الرواة والقصاص. وقد ترجم التوراة والإنجيل وكتب الأنبياء من العبرانية واليونانية والصابية إلى العربية[٧].

أما بقية مسلمة اليهود بالمدينة، بعد إجلاء بني النضير وقتل بني قريظة، فهم يامين بن عمير، وأبو سعد بن وهب، وكانا من بني النضير[٨] وثعلبة بن سعية. وأسيد بن سعية، وأسد بن عبيد فقد كانوا من بني هدل وعمرو بن سعدى من بني قريظة[٩] وقد ذكر ابن سعد[١٠] وابن الأثير[١١] رجلين آخرين وهما ابن يامين وثعلبة بن قيس دون أن يعينا قبيلتهما.

ولم يكن لجميع المذكورين من مسلمة بني النضير وقريظة شهرة بالمدينة، ولم يأت لهم ذكر في الحوادث السياسية والاجتماعية أو الدينية الإسلامية، كما أن الروايات المنقولة عنهم قليلة جداً، وإنْ هم لم يكتسبوا مكانة خاصة بين مسلمي المدينة، فإن ذريتهم قد حافظت على أخبار اليهود في الجاهلية في يثرب وخيبر ووادي القرى وفدك وتيماء، وقد كانوا ملمين بأيام اليهود في الديار العربية وأخبار النزاع والحروب بين بني قينقاع ونضير وقريظة من جانب، وبين المسلمين من جانب آخر في عهد الرسول وما جرى لهم في عهد الخلفاء الراشدين.

ومن المعلوم، إن ذرية مسلمة اليهود هي التي تقدمت بالروايات والأخبار والأحاديث من أسلاف اليهود بالمدينة، إلى محمد بن اسحق صاحب السيرة النبوية، في النصف الأول من القرن الثاني للهجرة، وكانت هذه الأخبار من أهم المصادر، التي يعول عليها في البحث في تاريخ حياة يهود الحجاز في الجاهلية وصدر الإسلام[١٢].

وكذلك كان حال محمد بن عمر الواقدي، المتوفى سنة ٢٠٧ للهجرة[١٣] الذي اتصل بذرية مسلمة يهود المدينة وجمع منهم الأخبار والروايات لكتابه في المغازي. وكذلك كان حال أسرة الشاعر السموءل بن عادياء صاحب حصن الأبلق الفرد بتيماء،

---

(٧) فهرست ابن النديم، طبع مصر، ص ٣٣.

(٨) ابن هشام، ص ٦٥٦.

(٩) ابن هشام، ص ٣٨٧، وص ٦٨٧.

(١٠) الطبقات الكبرى لابن سعد. ج ٢، قسم ٢، ص ١١٢.

(١١) ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، القاهرة، سنة ١٤٨٠ ج ٣، ص ٤١٣.

(١٢) قال ابن اسحق: وكان من حديث عبد الله بن سلام كما حدثني بعض أهله (ابن هشام ص ٣٥٣) وقد حدثني بعض آل يمين عن عبد الملك بن عمير عن عطية القرظي (ابن هشام ص ٦٩٢).

(١٣) كتاب في المغازي للواقدي طبع لأول مرة في كلكتا بالهند سنة ١٨٥٦، طبع العالم كريمر، ص ٢٧٨.

التي أسلم بعض أفرادها واستوطنوا العراق فكانوا هم الذين حافظوا على شعر السموءل، ونشروا أخبـار مجـده، وتغنوا بشرفه وفضله، في حفر الآبار وبناء الحصون.[١٤] وتعد أم المؤمنين صفية بنت حيي بـن أخطـب، مـن مسلمة يهود المدينة، وكان النبي قد اصطفاها لنفسه بعد يوم خيبر، وأصبحت من أزواجه ومن أمهات المؤمنين[١٥] وقد نسب إليها بعض الأحاديث، وهي أسئلة عرضها عليها نسوة من أهل الكوفة اللائي سألن عن أشياء من أمـر المرأة وزوجها، ومن أمر الحيض وعن نبيذ الجر[١٦] وقد زارت بيت المقدس بعد الفتح العمـري، فصـلت فيـه وصعدت على «طور زيتا» فصلت وقامت على طرف الجبل فقالت: «**من ها هنا يتفرق الناس يوم القيامة إلـى الجنة وإلى النار**»[١٧].

وأعظم رجل نبت في ذرية مسلمة يهود المدينة، إنما هو أبو حمزة محمد بن كعب القرظي، المولود سنة ٤٤ للهجرة، فقد كان من رجالات المدينة الممتازين. في النصف الثاني من القرن الأول للهجرة وكان من تلاميـذ عبد الله بن عباس، وقد نقل عنه أقدم الجامعين للأحاديث النبوية وأخبار يثرب ــ المدينة مثل محمد بـن اسـحق والواقدي والقاضي عبد الله بن وهب المصري والطبري والبخاري وغيرهم من أئمة الرواية والحـديث، وكـان محمد بن اسحق متصلاً به اتصالاً شخصياً[١٨] وكان والـده كعب ممن لم ينبت يوم قريظة فتـرك[١٩]، وكـان محمد بن كعب عالماً فاضلاً غير مدفوع، وكان كثير الرواية[٢٠] واعتبر من أفضل أهل المدينة علماً وفقهاً، وكان يقص في المساجد[٢١] ويشهد ابن اسحق أنه لم يرَ أعلم بتأويل القرآن من القرظي[٢٢]، وتـوفي فـي سـنة ١٠٨ للهجرة[٢٣] أما ابن اسحق والنووي فإنهما

---

(١٤) الأغاني، لأبي فرج الأصبهاني، طبع بولاق، ١٢٨٥، جـ ١٩، ص ٩٨: «وحكى عبد الله بن أبي سعد عن دارم بن عقال وهو من ولد السموءل».

(١٥) ابن هشام: ص ٧٥٨، وص ٧٦٣، الواقدي: ص ٢٧٨، ابن سعد، جـ ٨ ص ٩١، أسد الغابة جـ ٥، ص ٤٩٠.

(١٦) مسند أحمد بن حنبل، جـ ٦، ص ٣٣٧.

(١٧) الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، تأليف القاضي مجير الدين الحنبلي، طبع مصر، سنة ١٢٨٣هـ، جـ ١، ص ٢٣٦.

(١٨) طبري، تاريخ: جـ ١، ص ٢٢٩: «قال محمد بن اسحق سمعت محمد بن كعب القرظي يقول ذلك كثيراً».

(١٩) تراجم رجال الرواية، تأليف محمد بن إسحق، طبع أ. فيشر، ليدن سنة ١٨٩٠. ص ٦١.

(٢٠) طبري، تاريخ، جـ ٣، ص ٢٤٩٦، تراجم، ص ٦٠.

(٢١) تراجم، ص ٦١، نووي، تهذيب الأسماء، ص ١١٤، طبع جوتينجن سنة ١٨٤٢.

(٢٢) تراجم ٦٠، وقد ذكر له أحمد بن محمد الثعلبي كتاباً في تفسير القرآن (مخطوط للثعلبي في تفسير القرآن بدار الكتب ببرلين ص ٧).

(٢٣) طبري، تاريخ: جـ ٣، ص ٢٤٩٦.

يؤخران وفاته إلى سنة ١١٧ أو ١٢٠ للهجرة[٢٤].

وكان محمد بن كعب القرظي من أقرب المقربين إلى عمر بن عبد العزيز خليفة بني أمية وكان يأتي لزيارة الخليفة في دمشق[٢٥]، كما كان يبعث برسائله إليه من المدينة فكان الخليفة يرسل إليه جوابه من مقر ملكه[٢٦].

وكذلك نذكر رجلين آخرين من مسلمة اليهود من غير أهل المدينة هما عبد الله بن سبأ المعروف بابن السوداء والإمام وهب بن منبه.

أما عبد الله بن سبأ، الذي كان من أهل صنعاء، يظهر أنه أسلم في اليمن، ووصل إلى المدينة في زمن الخليفة عثمان بن عفان، تنقل في أمصار الحجاز والشام والعراق، وهو الذي أحدث فرقة المرجئة[٢٧]، المعروفة أيضاً بفرقة السبائية، ويعد أول من فرض إمامة علي بن أبي طالب وأظهر البراءة من أعدائه وكاشف مخالفيه[٢٨]، وكان بين الذين ذهبوا لمحاربة معاوية بن أبي سفيان[٢٩]، وقد بقي على إخلاصه ووفائه لعلي بن أبي طالب حتى بعد موته إذ استمر ينشر الدعوة لآل علي على أساس العقيدة، التي يؤمن بها اليهود، عن المسيح المنتظر الذي «يملأ الأرض عدلاً وسلاماً بين جميع أجناس البشر»، وكانت هذه العقيدة هي التي ساعدت على انتشار الإيمان بالمهدي المنتظر بين جميع فرق الشيعة.

يُعد عبد الله بن سبأ من أركان الفرق الباطنة الإسلامية، ولا يمكن البحث عنه وعن حوادثه وعقائده بحثاً وافياً مستفيضاً إلا بعد الوقوف على آراء الفرق الإسلامية

---

(٢٤) تراجم، ص ٦٢، نووي، تهذيب الأسماء، ١١٤.

(٢٥) طبقات ابن سعد، ج ٥، ص ٢٧٢ ــ ٢٧٣.

(٢٦) الجامع في الحديث، للإمام عبد الله بن وهب المصري، كتاب مخطوط بدار الكتب المصرية بالقاهرة ص ٤٧. كان القدماء قد عرفوا هذا الكتاب ونقلوا عنه واعتمدوا عليه ثم ضاع وأصبح اسم مؤلفه الذي توفي سنة سبع وتسعين ومائة منسياً إلى أن ظهر كتاب مخطوط منه على ورق البردي في مدينة أدفوا بمصر، وهو أكبر وأقدم مصنف عربي مخطوط على ورق البردي، لم يوجد أقدم منه في جميع متاحف ومكاتب العالم إلى يومنا، ويشتمل هذا الكتاب على روايات كثيرة لم ترد في مجموعات البخاري ومسلم وغيرهما، بينها روايات مهمة منسوبة لكعب الأحبار (راجع مقالة مفصلة عن الإمام القاضي عبد الله بن وهب لمؤلف هذا الكتاب في جريدة الأهرام يوم ٢٥ نوفمبر سنة ١٩٣٣.

(٢٧) طبري: تاريخ: ج ١ ص ٢٩٤٢.

(٢٨) كتاب فرق الشيعة، تأليف أبي محمد الحسن بن موسى النوبختي من أعلام الشيعة في القرن الثالث للهجرة طبع النجف سنة ١٩٣٦ ص ٢٢. كتاب الملل والنحل للشهرستاني طبع ليبسيك سنة ١٩٢٣ ص ١٣٣.

(٢٩) كتاب مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين لأبي الحسن علي بن إسماعيل طبع استانبول سنة ١٩٤٩ ج ١، ص ١٥.

الباطنية، التي لا تزال عقائدهم وتأريخ حوادثهم في العصور الإسلامية الأولى غامضة إلى يومنا.

أما وهب بن منبه فكان من أشهر مشاهير رجالات الإسلام في النصف الثاني من القرن الأول للهجـــرة، وقد ولد سنة أربع وعشرين للهجرة بمدينة ذمار من أعمال صنعاء باليمن، وتوفي بها سنة عشر ومائة[٣٠] أو فـــي سنة أربع عشرة ومائة[٣١] أو في سنة ست عشرة ومائة للهجرة[٣٢].

يذكر ابن خلدون أن وهب بن منبه، كان مثل كعب الأحبار من «**مسلمة بني إسرائيل**»[٣٣] ويقول ابـــن النديم إنه كان من أهل الكتاب[٣٤]، على أن ابن سعد[٣٥] وابن خلكان[٣٦] والنووي[٣٧] لم يصرحوا في أثناء كلامهم في تأريخ حياة وهب بأنه من نسل يهودي، ولكن ذلك لا يدل على أنهم كانوا يشكون في صحة الـــرأي المشـــهور عن أصله اليهودي بل هو بالعكس يدل على أنهم لم يكونوا في حاجة إلى الكلام في أمر مشهور معـــروف بـــين الجميع لا ينازع فيه أحد علماء المسلمين ولو كان هناك أي شك أو شبهة في نسبه اليهودي، لما أغفلوا ذكره ولما أحجموا الإشارة إليه لمكان أهميته في تأريخ رجل كان قطباً من أقطاب اليمن وإماماً من أئمة علماء القضاء والدين عند المسلمين بمدينة صنعاء في نهاية القرن الأول للهجرة[٣٨].

ووهب بن منبه من أقدم علماء المسلمين الذين وضعوا المصنفات الكثيرة في القرن الأول على أســـاس مباحثات علمية في المصادر الإسلامية واليهودية

---

(٣٠) طبقات ابن سعد: جـ ٥ ص ٣٩٥.

(٣١) نووي: تهذيب الأسماء، ص ٦١٩، ابن قتيبة: كتاب المعارف، طبع ويستنفلد سنة ١٨٥٠، جوته ص ٢٣٢، أسد الغابة، جـ ٥، ص ١٣١.

(٣٢) ابن خلكان: تاريخ وفيات الأعيان، طبع القاهرة، سنة ١٢٩٩، جـ ٢، ص ٢٣٨.

(٣٣) ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب، طبع كاترمير باريس سنة ١٨٤٧ ــ ١٨٥٨، جـ ٢، ص ١٧٩.

(٣٤) فهرس ابن النديم: ص ٢٢.

(٣٥) طبقات ابن سعد، جـ ٥، ص ٣٩٥.

(٣٦) ابن خلكان: تاريخ وفيات الأعيان، جـ ٢، ص ٢٣٨.

(٣٧) تهذيب الأسماء، ص ٦١٩.

(٣٨) ابن حجر: تهذيب الكمال في معرفة الرجال، طبع حيدر آباد. سنة ١٣٢٥ ــ ١٣٢٧ جـ ١١ ص ١٦٦. ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ليدن سنة ١٩٠٧ ــ ١٩٢٦ طبع مرجوليوث جـ ٧، ص ٢٣٢.

والمسيحية[٣٩]، وكان متهماً بالقول بمذهب القدرية[٤٠] وكان ذلك سبباً في هلاكه[٤١].

أما مؤلفاته وما ورد فيها من نظريات وأحاديث وقصص للأنبياء فقد انتشرت منذ القرن الأول للهجرة في الأندية الإسلامية، ولم تلبث أن أصبحت سراجاً وهاجاً ينير السبيل إمام علماء التاريخ والتفسير والقصص ولكن مما يؤسف له أن كتبه كلها قد ضاعت، كما ضاع كل ما دون في القرن الأول للهجرة عند المسلمين ولم نقف من مدوناته إلا على نصوص مبعثرة في مصنفات متعددة ألفها من لحقه من العلماء والأدباء[٤١].

ولا شك أن هذه المسلمة من يهود الجزيرة في القرن الأول للهجرة، إنما كانوا هم حلقة الاتصال بين الحضارة اليهودية والحضارة الإسلامية الناشئة، وان أغلب ما ورد من الإسرائيليات في المصنفات العربية الإسلامية وما ظهر من تأثيرها في الحركات السياسية والاجتماعية إنما نسب إلى هؤلاء الذين وردت أسماؤهم في هذا الباب.

على أن كثيراً من العقائد والتعاليم اليهودية، التي وردت في الكتب المقدسة وفي المشنا والتلمود وقف عليها كثير من علماء المسلمين باختلاطهم المباشر باليهود في العراق والشام ومصر، ولكنه نسب بغير حق لمسلمة يهود بلاد العرب في القرن الأول للهجرة. ولكن مما لا شك فيه أن «**مسلمة بني إسرائيل**» في الجزيرة العربية كانت من العوامل القوية في توجيه أنظار الصحابة والتابعين إلى المصادر اليهودية، حتى ظهرت آثار العقلية اليهودية في جملة مصنفات متصلة بالحديث والفقه والتفسير وقصص الأنبياء.

---

(٣٩) طبقات ابن سعد: ج ٥، ص ٣٥٩: «سمعت وهب بن منبه يقول: قرأت اثنين وتسعين كتاباً كلها أنزلت من السماء، اثنان وسبعون منها في الكنائس وفي أيدي الناس وعشرون لا يعلمها إلاّ القليل». ابن حجر: تهذيب، ج ١١، ص ١٦٦.

(٤٠) طبقات ابن سعد: ج ٥، ص ٣٩٦.

(٤١) وقد ذكر ابن حجر عن سبب موت وهب ما يأتي تهذيب، ج ١١، ص ١٦٦. «قال ابن عيينة عن عمرو بن دينار: دخلت على وهب في داره بصنعاء فأطعمني جوزاً من حوزةٍ في داره فقلت له: وددت إنك لم تكن كتبت في القدر فقال: أنا والله وددت ذلك.. وقيل إن يوسف بن عمرو ضربه حتى مات».

وراجع ما ذكره العالم حاجي خليفة وهو مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني المتوفى سنة ١٠٦٧ للهجرة، في كتابه «كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون» طبع فليجل Flügel سنة ١٨٣٥ ــ ١٨٥٨ عن وهب بن منبه ج٤، ص ٣٨٧، وج ٤، ٥١٨، وج ٥، ص ٤٠ وج ٥، ص ٦٤٦.

الباب الأول

حياة كعب الأحبار

ما معنى كعب الأحبار؟ ــ انتشار الإسلام في الديار الحميرية ــ متى اعتنق كعب الأحبار الإسلام ــ الأسباب التي حملت كعبا على اعتناق الإسلام ــ عمر كعب الأحبار عند اعتناقه الإسلام ــ ورأي الصحابة والتابعين في كعب الأحبار ــ أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وكعب الأحبار ــ الخليفة عثمان بن عفان وكعب الأحبار ــ هل كان كعب الأحبار منحرفاً عن الإمام علي بن أبي طالب؟ كعب الأحبار ينزح إلى الديار الشامية ــ امرأة كعب الأحبار وأبناؤه

أ ــ ما معنى كعب الأحبار؟

تتفق جميع المصادر العربية على أن كعب الأحبار بن ماتع المكنى أبا اسحق كان يهودياً من حمير باليمن(١)، وكلمة ماتع ليست من أسماء الأعلام المألوفة

---

(١) ابن سعد: طبقات ج ٧ قسم ٢ ص ١٥٦. طبري: تاريخ ج ٣ ص ٢٥٥٢. نووي: تهذيب الأسماء ص ٥٢٣. الإمام البخاري: التاريخ الصغير في رجال الحديث، طبع أحمد آباد، سنة ١٣٢٥ ص ٣٤. الإمام البخاري: التاريخ الكبير، كتاب مخطوط بدار الكتب المصرية مأخوذ بالتصوير الشمسي من النسخة الأصلية المحفوظة بمكتبة آية صوفيا بالآستانة ص ٧٠ (راجع فهرس دار الكتب المصرية ج ٥ ص ١٠٢)، أما القول الذي ورد في مرجع شيعي متأخر بأن كعباً كان نصرانياً (راجع كتاب تنقيح المقال تأليف الحاج الشيخ عبد الله الممقاني، طبع النجف الأشرف سنة ١٣٤٩ ــ ٢٥ ج ٢ ص ٣٩ رقم ٩٨٨٢) فلا يعول عليه مطلقا إذ من المشهور عند المتقدمين والمتأخرين في المصادر السنية والشيعية الموثوق بها أن كعب الأحبار كان يهودياً من حمير.

في اللغة العربية ولا نعرف أنه استعمل علماً في غير هذا الموضع(٢) لذلك يحتمل أن يكون اسماً عبرياً محرفاً(٣) أما لفظ كعب فمن الأعلام العربية التي كانت مألوفة عند يهود بلاد العرب أيضاً(٤) ويعتقد العالم ليد سبارسكي (Lidzbarski) أن لفظ كعب كان مستعملاً عند يهود بلاد العرب للدلالة على الاسم العبري يعقوب أو عقيبا كما هي العادة عند يهود بلاد الغرب في الأزمنة الحاضرة، إذ أنهم يستعملون لفظ ايزيدور بدل إسرائيل، وكلمة يوليوس عوضا عن يهودا(٥)، ويبدو لنا أن هذه العادة لم تكن متبعة عند يهود بلاد العرب، لأنهم كانوا يستعملون الأسماء العبرية أو العربية مباشرة، كما يتضح ذلك من قراءة أسماء يهود المدينة وخيبر، التي وردت في المصادر الإسلامية القديمة، لذلك لا نميل إلى الاعتقاد بأن لفظ كعب العربي له دلالة أخرى في العبرية، وأما أحبار فهي صيغة الجمع لكلمة حبر وهو لفظ عبري (חבר) كان يطلق على كل من التحق بالشيعة اليهودية الفريسية منذ العصر الذي سبق المسيح وحتى القرن الأول للميلاد، ثم تغلبت تعاليم هذه الفئة على الأحزاب الدينية الأخرى عند اليهود، فأصبح كل متعلم من اليهود يلقب بلقب حبر وكانت هذه التسمية سارية على علماء اليهود الذين دونوا المشنا والتلمود(٦).

وكان لفظ حبر يطلق في بلاد العرب على العالم اليهودي، ثم أصبح على كر الزمن يطلق في العربية على العالم مطلقاً يهودياً كان أو مسلماً أو مسيحياً(٧) وكان عبد الله بن عباس يُلقب بحبر العرب(٨) وبعالم الأمة الحبر البحر(٩).

---

(٢) المرتضى الزبيدي: تاج العروس من شرح جواهر القاموس، طبع مصر جـ ٥ ص ٥٠٨. جمال الدين أبو الفضل محمد المعروف بابن منظور: لسان العرب، طبع بولاق جـ ١ ص ٢٠٩.

(٤) كعب بن أسد زعيم بني قريظة (ابن هشام ص ٣٩٠، ٦٧٤، ٦٨٥) كعب بن الأشرف شاعر اليهود بيثرب وهو من بني النضير (ابن هشام ص ٣٥١، ٣٨١، ٥٤٨) كعب بن سليم والد المحدث محمد القرظي (ابن هشام ص ٦٩٢).

(٥) Lidzbarski: De propheticis quae dicuntur legendis, Leipzig, 1893. p. 34-35

(٦) إسرائيل ولفنسون: تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، ص ٢٠.

(٧) بسبب شيوع لفظ «الحبر» بين رجال الدين من المسيحيين واستعمالهم له استعمالاً مفرطاً، يعتقد بعض المقامات من الشيعة أن «الحبر» خاص «بالعالم من النصارى دون غيره»، (المامقاني: «تنقيح المقال جـ ٢ ص ٨٢ رقم ٩٨٨٢» وراجع في المصنفات الآتية: ما ورد عن كلمة حبر

A. Geiger: was hat Muhammad aus dem Judentum aufgenommen 2 Aufl Leipzig 1902 p. 48, I. Goldziher; Z. D. M. G. XXXII p. 347 note 1.-Hirschfeld: Beiträge zur Erklärung des Korans p. 51.- Lidzbarski: propheticis p. 36. J. Horovitz: Koranishe Untersuchungen, p. 63.-Ig. Goldziher: über Muhammedanische Polemik gegen Ahl al Kitab in Z. O. M. G. Tome 32. p. 345.

(٨) ابن حجر: الإصابة، ج ١ ص ٨٠٢.

(٩) شمس الدين الذهبي: دول الإسلام، طبع حيدر آباد، سنة ١٣٣٣، ص ٣٦، ابن الأثير: أسد الغابة، جـ ٣، ص ١٩٣.

ويميل بعض علماء المسلمين إلى كسر الحاء في كلمة حبر، معتقدين أنها مشتقة من لفظ الحبر الذي هو المداد(١٠)، وأجاز العالم ابن سعيد نشوان وغيره كسر الحاء وفتحها، ولكنه فضل الكسر على الفتح لأنه أفصح(١١). ويستخلص من المصادر العربية أن كعباً إنما نُسب إلى الأحبار لكثرة علمه ومناقبه(١٢)، أو لكونه من علماء أهل الكتاب، فهو لذلك «كعب العلماء»(١٣)، ويقول الطبري إن علم كعب الأحبار من بقية ما ورث تلك الأحبار، الذين أدخلوا اليهودية في اليمن(١٤).

ويقول العالم بريبي (Barbier)، أن كعباً كان عالماً يهودياً ملماً بآداب التلمود وقصص الأحبار(١٥).

وينبغي أن نلاحظ أن صيغة الجمع، التي تضاف لاسم من الأسماء إنما تأتي للدلالة على المبالغة والإفراط في أمر من الأمور مدحاً كان أو ذما، كما يتضح ذلك من شرح بعض أسماء الأعلام: مثل زيد الخيل، الذي ترجع تسميته بذلك إلى شجاعته وبسالته(١٦) ومثل تسمية سلمان بن ربيعة الباهلي بسلمان الخيل، لأنه كان خيراً فاضلاً كثير الغزو(١٧) ومثل تسمية أبي الصلاة لكثرة صلاته، وتسمية جابر بجابر عثرات الكرام لفرطه في الجود، وعروة الصعاليك كان مشهوراً يجمع الفقراء فيرزقهم. ونعتقد أن كلمة أحبار إنما أُضيفت لاسم كعب بعد إسلامه، ولكننا نتساءل: هل لفظ كعب جديد أيضاً؟ أو أنه كان يسمى به قبل أن يسلم، ولدينا ما يرجح أحد الاحتمالين لأن كلمة كعب معنى يدل على الشرف والمجد أيضاً(١٨) وعلى فرض أنه سُمي بهذا الاسم بعد اعتناقه الإسلام فبماذا كان يسمى قبل إسلامه؟ هذا ما لا نعرف عنه شيئاً، إننا نعلم أن عبد الله بن سلام كان يعرف في عهد يهوديته باسم الحصين فلما أسلم سماه الرسول عبد الله(١٩) وكذلك نعلم أن المحدث الشهير أبو هريرة قد عرف قبل الإسلام باسم عبد شمس فسمي في الإسلام

---

(١٠) تاج العروس، ج ٣ ص ١٢٠.

(١١) نشوان بن سعيد اليمني: شمس العلوم ودواء كلام العرب، طبع جيب بمدينة ليدن، سنة ١٩١٦، ص ٢٤.

(١٢) نووي: تهذيب الأسماء ص ٥٢٣.

(١٣) تاج العروس، ج ٣، ص ١٢٠.

(١٤) طبري: تاريخ، ج ١، ص ٨٩٢.

(١٥) Journal Asiatique, série; 10, Tome X p. 114.

(١٦) تاج العروس، ج ٧، ص ٣١٥.

(١٧) فتوح البلدان، ص ١٩٨.

(١٨) يذكر صاحب اللسان في مادة كعب ما يأتي: أعلى الله كعبه أي أعلى جده، قال ابن الأثير والأصل فيه كعب القناة وهو أنبوبها وما بين كل عقدتين منها كعب، وكل شيء علا وارتفع فهو كعب (لسان العرب، ج ٢، ص ٢١٤).

(١٩) طبري: تاريخ، ج ٣، ص ٢٥٤٢، نووي: تهذيب. ص ٣٤٧.

عبد الله[٢٠]. وكل من يعتنق الإسلام يغير اسمه باسم جديد حتى ينسى مع دينه القديم اسمه القديم أيضاً، وقد ذكر النووي عن أسماء أجداد كعب الأحبار ما يأتي: إنه كعب بن ماتع بن هينوع أو هيسوع[٢١] ويُقال عمرو بن قيس بن معمر بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن عوف بن حمير بن قطف بن عوف بن زهير بن أيمن بن حمير بن سبأ الحميري[٢٢].

ومما لا شك فيه أن جميع أسماء أجداد كعب الأحبار ملفقة وذلك لسببين: ــ

(١) إنها لم ترد في المصادر القديمة مثل ابن سعد والطبري وأضرابهما.

(٢) إن جميع هذه الأسماء ليست من أسماء الأعلام اليمنية، التي كانت مألوفة في اليمن قبل الإسلام بل هي من الأعلام الشائعة في شمال بلاد العرب[٢٣] وعلى العموم تظهر في جدول أنساب كعب تلك السذاجة التي نألفها في أنساب غيره من رجالات العرب في العصر الأول للهجرة الذين يرجع نسبهم إلى زمن بعيد في الجاهلية، حتى لتبدو كأنها مأخوذة من مصادر مكتوبة يعتمد عليها.

وكان كعب ينتمي إلى قبيلة ذي رعين[٢٤] أو إلى قبيلة ذي كلاع[٢٥] أو إلى قبيلة هجن[٢٦] أما ذو كلاع وذو رعين فهما اسمان من أسماء القبائل العربية[٢٧] التي كانت منتشرة في اليمن في زمن الجاهلية، وهما من أسماء الأعلام المذكرة[٢٨]

---

(٢٠) ابن سعد: طبقات، جـ ٤، ص ٥٢. وقد سرد الطبري رواية ابن سعد، ثم أضاف إليها أن آخرين قالوا إن اسمه كان عبد نهم، وقيل عبد غنم تاريخ، جـ ٣، ص ٢٥٣٥.

(٢١) يميل العالم هرشفلد Hirschfeld **إلى الاعتقاد بأن هيسوع هو تحريف الاسم العبري يسوع أو يوشع** Jew Enc. VII p. 400.

(٢٢) تهذيب الأسماء، ص ٥٢٣.

(٢٣) راجع أسماء أعلام عربية في اليمن وحضرموت قبل الإسلام وردت في كتابات منقوشة:

Mordtmann und Mittwoch: Sudarabische Denkmäler.
Mordtmann und Müller: Sudarabisch Denkmäler.
D. Nielsen: Handbuch der Altarabischen Altertumskunde:

وراجع كتاب، تاريخ اللغات السامية، لمؤلف هذا الكتاب، من ص ٢٢٧ ــ ٢٥٢.

(٢٤) طبقات: ابن سعد، جـ ٧، القسم الثاني، ص ١٥٦، طبري: تاريخ، جـ ٣، ص ٢٤٧٤.

(٢٥) إصابة، جـ ٨، ص ٦٣٥.

(٢٦) طبري: تاريخ، جـ ٣، ص ٢٤٧٤.

(٢٧) راجع أسماء القبائل العربية في فهرس تاريخ الطبري ص ٧١٤ وفي فهرس كتاب صفة جزيرة العرب ص ٤٩٦.

(٣٨) طبري تاريخ، جـ ١، ص ٩١٤. ابن هشام، ص ١٨. طبري: تاريخ، فهرس، ص ١٨٥، تاج العروس، جـ ٥، ص ٤٩٦.

وكذلك عرف باسم كعب الكتابين[٢٩].

ب ــ انتشار الإسلام في الديار الحميرية

وجد الإسلام أرضاً خصبة ونفوساً مستعدة في كل مكان عاش فيه اليهود بالبلاد العربية أو كان لهم فيه نفوذ قوي، وقد لاحظنا هذه الظاهرة حين شرحنا سبب معارضة أهل مكة أو الطائف لرسالة نبي الإسلام ومحاربتهم له محاربة قوية في حين أن بطون يثرب دخلت دين الإسلام أفواجاً، وقد ذكرنا أنه كان هناك بون شاسع بين عقلية القبائل القاطنة بالطائف ومكة، وبين عقلية قبائل يثرب، حيث كانت الأولى جامدة على عقائد الآباء والأجداد وكانت الثانية قد تهيأت قلوب أفرادها لقبول دين سماوي بسبب وجودها على الدوام بين يهود سمعوا تعاليمهم ورواياتهم عن أنبياء بني إسرائيل وأخلاقهم[٣٠].

وكذلك كانت اليمن قد تهودت قبل الإسلام وانتشرت فيها عقيدة بين قبائل حمير حتى دخلت عن رضى واختيار في دين اليهودية، ثم لما سلبت الدولة والملك من حمير المتهودة، بعد اندحار جيوش يوسف ذو نواس أمام القوى الحبشية المسيحية، لم ينمح نفوذ الديانة اليهودية، ولم تطمس آثارها بل بقيت محفوظة في الصدور طيلة حكم الأحباش في اليمن.

ولما أخرج الفرس الحبشيين من الديار اليمنية، أخذت اليهودية تنتعش وتنطلق بالتدريج من مكامنها في الصدور، ومع أن أقيال حمير وأشرافهم لم يكونوا قد عادوا إلى اليهودية، فإن قلوبهم كانت قد تهيأت ونفوسهم قد استعدت لقبول دين توحيدي جديد، فلما أقبل عليهم رسل الإسلام ودعاته انشرحت له صدورهم واعتنقوه مسرورين، فلم يلبث معاذ بن جبل وعلي بن أبي طالب وأبو موسى الأشعري طويلاً

---

(٢٩) راجع كتاب فتوح مصر وأخبارها: تأليف أبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم الذي ورد فيه ما يأتي: حدثنا عبد الله بن صالح، حدثنا موسى بن علي عن أبيه قال: خرجنا حجاجاً من مصر، فقال لي سليم بن عنتر: اقرأ علي أبي هريرة السلام وأخبره أني قد استغفرت له ولأمه الغداة فلقيته فقلت ذلك له فقال أبو هريرة وأنا قد استغفرت له ولأهله الغداة ثم قال أبو هريرة كيف تركت أم خنور؟ (تكنى مصر باسم أم خنور (ارجع القاموس المحيط لمجد الدين محمد الفيروزآبادى، طبع مصر سنة ١٣٤٤ جـ ٢ ص ٢٤) قال فذكرت له من خصبها ورفاهتها فقال إنها أول الأرضين خراباً ثم على أثرها أرمينية، فقلت أسمعت ذلك من رسول الله «صلعم» أو من كعب الكتابين (راجع الكتاب المذكور صفحة ٢٣٤)، ولم نعثر إلى الآن في مرجع عربي آخر أن كعباً عُرف بهذا اللقب على أننا نعتقد أن اللقب «كعب الكتابين» في هذه الرواية أنما يدل على التهكم والسخرية أكثر منه على الجد والاعتراف بعلمه في الكتابين (كتاب التوراة وكتاب القرآن).

(٣٠) راجع كتاب: تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، لمؤلف هذا الكتاب، ص ١٠١.

وهم الذين بعثهم النبي إلى اليمن لنشر تعاليم القرآن، حتى عم الإسلام جميع اليمن وحتى كان أهل اليمن هم الذين قاتلوا المرتدين منهم، حين هبوا للخروج على الإسلام في عهد الخليفة أبي بكر[٣١].

وقد وصل إلينا من أسماء يهود اليمن الذين أسلموا: كعب الأحبار، ومنبه والد وهب، وعبد الله بن سبأ، ولم نجد غيرهم في المصادر الإسلامية.

جـ ــ متى اعتنق كعب الأحبار دين الإسلام؟

لا يمكننا بسبب الروايات المتناقضة، أن نحدد بالضبط الزمن الذي دخل فيه كعب دين الإسلام، ففي حين يروي الواقدي أن إسلامه قد حدث قبل وفاة النبي، لمّا وفد علي بن أبي طالب إلى اليمن[٣٢] نجد ابن سعد يسرد رواية يذكر فيها أن كعباً أسلم في عهد أبي بكر قبل أن يدخل المدينة[٣٣]، فهو يذكر تاريخ إسلامه بالتقريب لا بالتدقيق، أما ابن حجر فيعين زمن إسلامه ويقول: «إنه حدث في خلافة عمر بن الخطاب في سنة اثنتي عشرة»[٣٤]، على أن الطبري يعارضه ويقول إن كعباً أسلم في سنة سبع عشرة من أمارة عمر[٣٥]، ويؤيد السيد الشريف الرضي، المتوفى سنة ٤٠٦ للهجرة الرأي الأخير[٣٦] وهناك رواية ثانية لابن حجر ذكر فيها أنه أسلم في خلافة أبي بكر[٣٧]، وعلى كل حال يبدو لنا، أن كعب الأحبار كان قد عقد النية على اعتناق الإسلام وهو في ربوع اليمن، ثم ترك عشيرته ووطنه وهاجر مع أهل بيته إلى المدينة، حيث أعلن إسلامه إمام الخليفة عمر بن الخطاب.

---

(٣١) طبري: تاريخ، جـ ١ ص ١٧١٩ ــ ١٧٣٩ الدياربكري: (القاضي حسين بن محمد بن حسن المتوفى سنة ٩٨٢هـ): كتاب الخميس في أحوال أنفس نفيس، طبع مصر، سنة ١٣٠٢، جـ ٢، ص ١٥٧، البلاذري (الإمام أحمد بن يحيى البغدادي المتوفى سنة ٢٧٩ للهجرة): فتوح البلدان، طبع ليدن، سنة ١٨٦٦، ص ٦٨ ــ ٧٤.

(٣٢) الواقدي، عن ترجمة ولهوزن طبع برلين ص ٤١٩.

J. Horovitz: De Waqidii libro qui Kitab al Magazi Berlin, 1898 p. 39.

(٣٣) ابن سعد: طبقات جـ ٧، القسم الثاني، ص ١٥٦، أسد الغابة، جـ ٤، ص ٢٤٧.

(٣٤) إصابة، جـ ٣، ص ٦٣٦، على أن عمر لم يكن في تلك السنة قد تبوأ الخلافة إذ كان بدء خلافته في ٢٢ جمادى الثانية من سنة ١٣.

(٣٥) طبري: تاريخ، جـ ١، ص ٢٥١٤.

(٣٦) حقائق في متشابه التنزيل، جـ ٥، طبع النجف، سنة ١٣٥٥، ص ٣٤٩.

(٣٧) ابن حجر: تهذيب الكمال في معرفة الرجال، جـ ٨ ص ٤٣٨، نووي: تهذيب الأسماء، ص ٢٥٣.

د ــ الأسباب التي حملت كعباً على اعتناق الإسلام

هناك رواية منسوبة لابن المسيب، تروي لنا خبراً فيه إشارة إلى السبب الذي حمل كعب الأحبار على تغيير دينه وهي: «قال العباس لكعب: ما منعك أن تسلم على عهد رسول الله وأبي بكر حتى أسلمت الآن على عهد عمر؟ فقال كعب: إن أبي كتب لي كتاباً من التوراة ودفعه إلي وقال: اعمل بهذا، وختم على سائر كتبه وأخذ علي بحق الوالد على ولده أن لا أفض الخاتم، فلما كان الآن ورأيت الإسلام يظهر ولم أرَ بأسا قالت لي نفسي لعل أباك غيب عنك علماً كتمك فلو قرأته ففضضت الخاتم فقرأته فوجدت صيغة محمد وأمته فجئت الآن مسلماً، فوالى العباس[٣٨].

وأبرز ظاهرة في الرواية المذكورة، هي أن كعباً كان قد وجد صفات الرسول محمد في التوراة، ويجب لفت الأنظار إلى أن القرآن فيه بعض آيات تشير إلى ذكر صفات الرسول محمد في كتب أهل الكتاب: «وإذ قال عيسى بن مريم يا بني إسرائيل أني رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد»[٣٩] و«.. يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمناً قليلاً..[٤٠]»، أما الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب، فهم أحبار اليهود، الذين كتموا الناس أمر محمد «صلعم» ونبوته، وهم يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة[٤١] وأما ما ورد عن: «الذين أوتوا الكتاب فيعلمون أنه الحق من ربهم..»[٤٢]، فالمقصود بهم «أحبار اليهود وعلماء النصارى، وقد قيل عني بذلك اليهود خاصة»[٤٣] و«الذين أتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وأن فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون..»[٤٤] وهم أيضاً أحبار اليهود وعلماء

---

(٣٨) طبقات ابن سعد، جـ ٧، قسم ثان ص ١٥٦. إصابة، جـ ٣ ص ٦٣٥. تهذيب التهذيب جـ ٨، ص ٤٨٣، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، جـ ١، ص ٢٥٧.

وتجدر الإشارة إلى أنّ العالم شبرنجر (Sprenger) **الذي نقل الرواية المذكورة في كتابه وترجمها إلى الألمانية:** (Das Leben Muhammads Bd III p. G. IX) **قد أخطأ في أثناء ذكره عبد الله بن العباس، بدلاً من والده العباس، إذ لا يوجد مصدر قديم، حتى ولا مرجع متأخر، يشير إلى أن الذي سأل كعباً عن سبب إسلامه كان ابن العباس.**

(٣٩) سورة الصف: آية ٦.

(٤٠) سورة البقرة: آية ١٧٣.

(٤١) طبقات ابن سعد، جـ ١ القسم الثاني، ص ١٩، طبري: تفسير، جـ ٢، ص ٥٠.

(٤٢) سورة البقرة: آية ١٤٣.

(٤٣) طبري: تفسير، جـ ٢، ص ١٤.

(٤٤) سورة البقرة: آية ١٤٥.

النصارى[٤٥].

وقد ذكر محمد بن اسحق أن عبد الله بن سلام كان يقول لأحبار اليهود: اتقوا الله وأقبلوا ما جاءكم بـــه، فوالله إنكم لتعلمون أنه لرسول الله تجدونه مكتوباً عندكم في التوراة باسمه وصفته، فإني أشـــهد أنـــه رســـول الله وأومن به وأصدقه وأعرفه فقالوا كذبت...[٤٦].

ولابن سعد في كتاب الطبقات فصل عن صفات رسول الله في التوراة والإنجيل فيه روايات بإسناد عـــن كعب الأحبار وعبد الله بن سلام وغيرهما من علماء المسلمين[٤٧] وأهم ما ورد فيه من الروايات منسوب لكعـــب الأحبار إذ تحوم أغلب الروايات الأخرى حول النظرية، التي وردت على لسان كعب: يسأل ابن عباس كعباً كيف تجد نعت رسول الله في التوراة فيجيبه: نجده محمد بن عبد الله، مولده بمكة ومهاجره إلى طابه[٤٨] ويكون ملكـــه بالشام ليس بفاحش، ولا بصخاب في الأسواق، ولا يكافئ بالسيئة ولكن يعفو ويغفر.

وكذلك يقول كعب: إن نعت محمد «صلعم» في التوراة محمد عبدي المختار لا فظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق ولا يجزى بالسيئة ولكن يعفو..

على أن مضمون هذه الرواية مذكور في سفر إشعيا من الكتاب المقدس[٤٩] والروايـــات الأخـــرى فـــي الفصل المذكور لا تختلف كثيراً عن مضمون روايات كعب الأحبار ونود أن نلفت الأنظار إلى أن هذا الموضوع كان يشغل بال العلماء المسلمين بعد عصر العلامة ابن سعد أيضاً فنجد أن كتاب الشمائل للترمـــذي يبحـــث فـــي المشكلة المذكورة[٥٠] ويسرد أبو نعيم أحمد الأصبهاني روايات على لسان كعب عن صفة محمد وأمته أخبـــر الله عنها موسى في التوراة[٥١]، وكذلك وضع ابن عساكر المتوفي سنة ٥٧١ للهجرة فصلاً عن مجيء محمد رســـول الله حتى نشر أحدهما التوراة فقرأ هذا فيها وكعب

---

(٤٦) ابن هشام، ص ٢٥٣.

(٤٧) طبقات ابن سعد، ج ١، القسم الثاني، ص ٨٧ ــ ٨٩.

(٤٨) طابة، من أسماء المدينة المنورة، وقد عُرفت باسم يثرب قبل الإسلام، كما كان لها جملة أسماء ورد ذكرها عند السمهوري (راجع كتاب، وفاء الوفاء في أخبار المصطفى، طبع مصر، سنة ١٣٢٦، ص ٥).

(٤٩) وقد ورد في سفر إشعيا ما يأتي: هو ذا عبدي الذي أعضده مختاري الذي سرت به نفسي وضعت روحي عليه فيخرج الحق للأمم لا يصيح ولا يرفع ولا يسمع في الشارع صوته.. لا يكل ولا ينكر حتى يضع الحق في الأرض (إشعيا فصل ٤٢ آية ١ ــ ٤).

(٥٠) راجع المقدمة لطبقات ابن سعد، ج ١، قسم ثان، ص ١٥.

(٥١) حلية الأولياء ج ٥، ص ٣٨٤ ــ ٣٨٨.

كان خلفهما... [٥٢].

ولما كان موضوع البحث عن صفات الرسول محمد في التوراة والإنجيل محل عناية واهتمام ليس في طبقة العلماء المستنيرين من المسلمين فحسب بل بين الجماعات الشعبية ومجالسهم أيضاً فقد أخذ مؤلفو القصص الدينية والحكايات الدنياوية يدمجون في قصصهم وأخبارهم الخيالية موضوعات فيها نعوت النبي في التوراة، كما ورد في «قصة بلوقيا ملك بني إسرائيل في مصر» الذي وجد في خزائن الدولة كتاباً يشتمل على نعوت سيد الأولين والآخرين.. وقد نقل الثعلبي هذه القصة بإسناد عن عبد الله بن سلام[٥٣] وجاءت هذه القصة أيضاً بدون إسناد في حكاية حاسب كريم الدين من مجموعة ألف ليلة وليلة[٥٤] ويعتقد الأستاذ هوروفيتس J. Horovitz أن قصة بلوقيا مستخلصة من مصادر يهودية، أو أنها مكتوبة بتأثير كاتب قد وقف على الآداب اليهودية[٥٥] على أن الأصبهاني يسرد سبباً آخر لإسلام كعب الأحبار وهو أنه مر برجل من أصحاب الرسول وهو يقرأ الآية: «يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقاً لما معكم من قبل أن نطمس وجوها...» فأسلم كعب[٥٦] وفي مناسبة أخرى قرأ كعب الآية: «أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت...» فأسلم حينئذ[٥٧].

هـ ــ عمر كعب الأحبار عند اعتناقه الإسلام

روى ابن سعد والطبري أن وفاة كعب كانت في سنة ٣٢ للهجرة، على أن للطبري نفسه رواية أخرى يذكر فيها أن كعباً توفي لسنة بقيت من خلافة عثمان بن عفان، وقد كان مقتل عثمان في آخر سنة خمس وثلاثين[٥٨] ومن أنصار هذا الرأي ابن حجر[٥٩] وابن الأثير[٦٠] واليافعي[٦١] إذ يعينون لوفاة كعب سنة

---

(٥٢) كتاب التاريخ الكبير لدمشق لأبي القاسم علي بن عساكر الدمشقي، طبع دمشق، جـ ١، ص ٣٤١.

(٥٣) أحمد بن محمد الثعلبي: قصص الأنبياء المسمى بالعرائس، طبع مصر سنة، ١٢٩٧، ص ٣٣٧.

(٥٤) ألف ليلة وليلة طبع بيروت، جـ ٢، ص ٨٣٢ ــ ٨٨٥.

(٥٥) Z.D.M.G. Tome. LV p. 519.

(٥٦) حلية الأولياء، جـ ٦، ص ٦ والآية ٤٧ من سورة النساء.

(٥٧) حلية الأولياء، جـ ٦، ص ٧، والآية ٤٦ من سورة النساء.

(٥٨) الطبري، تاريخ، جـ ٣، ص ٢٤٧٤.

(٥٩) إصابة، جـ ٣، ص ٦٣٩.

(٦٠) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، طبع ليدن، سنة ١٨٦٧ ــ ٧٤، جـ ٣، ص ١٢١.

(٦١) مرآة الجنان وعبرة اليقظان، لأبي محمد عبد الله بن أسعد اليافعي، طبع حيدر آباد، جـ ١، ص ٨٩.

أربع وثلاثين وقد روى ابن حجر[٦٢] والسيوطي[٦٣] أن كعباً كان قد بلغ في سنة وفاته مائة سنة وأربع سنين من العمر.

فلو افترضنا صحة هذا الرأي لكان كعب حين جاء إلى المدينة قد جاوز الثمانين من عمره، ولكننا لا نطمئن إلى صحة هذه الرواية لأنها تناقض الأخبار الكثيرة الدالة على ما كان يتمتع به كعب من النشاط والقوة وكثرة الحركة حتى رحل مرتين إلى الشام وسافر إلى مكة لأداء فريضة الحج، وهذا كله يثير الشك في صحة هذه الرواية ويحمل على الاعتقاد بأنه قد بولغ فيها مبالغة شديدة، لأن الإنسان في مثل هذه السن العالية، والشيخوخة الفانية لا يقوى على مثل هذا النشاط.

على أن مما لا شك فيه أن كعب الأحبار لم يجيء المدينة إلاّ بعد أن قطع عمراً مديداً في اليهودية، وأن علمه في التوراة والتلمود والإسرائيليات عامة، إنما حصل عليه في موطنه الأصلي بالديار اليمنية إذ لم يكن أحد من علماء اليهود بالمدينة في عهد عمر[٦٤]. والأفراد الذين أسلموا لم يكن لهم حظ وافر في علوم اليهود وأخبارهم ومن هنا نستخلص أن الثقافة اليهودية في زمن ظهور الإسلام كانت منتشرة في البلدان اليمنية ومن مدارسها أخذ مسلمة يهود اليمن ونقلوها إلى البيئة الإسلامية في الأمصار المختلفة.

ومما يدل على فطنة كعب وحذاقته عند مجيئه إلى المدينة، أنه أخذ يتعلم سورة البقرة، وكان يعلمه إياها رجل من أصحاب النبي، حتى انتهى إلى قوله: «فإنْ زللتم من بعد ما جاءتكم البينات فاعلموا أن الله غفور رحيم» فقال كعب: ما أعرف هذا في شيء من الله عز وجل أن ينهى عن الذنب ويعد عليه المغفرة، فأبى الرجل أن يرجع عن ذلك، وأبى كعب أن يتابعه حتى مر عليهما رجل من أصحاب النبي فقال له: هل تقرأ سورة البقرة قال نعم فقالا: «فإنْ زللتم من بعد ما جاءتكم البينات» فقال الرجل: «فاعلموا أن الله عزيز حكيم» (سورة البقرة آية ٢٠٩) فقال كعب: نعم هكذا ينبغي أن يكون[٦٥].

و ــ رأي الصحابة والتابعين في كعب الأحبار

كان لكعب الأحبار منزلة رفيعة ومكانة سامية بين رجال الصحابة مثل عبد الله

---

(٦٢) إصابة، جـ ٣، ص ٦٣٥.

(٦٣) جلال الدين السيوطي: إسعاف المبطأ برجال الموطأ طبع مصر، سنة ١٣٤٣، ص ٢١٠.

(٦٤) كان الرسول قد أجلى يهود المدينة كلهم (مسند أحمد، جـ ٢، ص ١٤٩، صحيح مسلم، طبع مصر، سنة ١٣٤٩، جـ ١٢، ص ٩٠ ــ ٩١ في باب الجهاد عدد ٦١، ٦٢) وكنا ذكرنا أن عدداً قليلاً من اليهود قد عاد إلى المدينة في أخريات أيام الرسول ولكنهم لم يكونوا من أحبار اليهود وأشرافهم (تاريخ اليهود في بلاد العرب ص ١٧٦).

(٦٥) الطبري: تاريخ جـ ٣، ص ٢٤٥.

ابن عباس وأبي هريرة وعبد الله بن عمرو بن العاص، وقد كانوا يعتمدون على رأيه ويثقون بحسن فهمه وصحة إدراكه، ليس في الموضوعات الإسرائيلية المرتبطة بمصادر يهودية من المشنا والتلمود وغيرهما فحسب، بل في شرح بعض الآيات من القرآن أيضاً.

ونورد هنا رواية تدل على مدى ما كان لكعب من الرفعة والإجلال بين الصحابة. قال ابن سعد: إن أبا هريرة جاء إلى كعب يسأل عنه وكعب في القوم فقال كعب: ما تريد منه، فقال: إني لا أعرف أحداً من أصحاب رسول الله «صلعم» أن يكون أحفظ لحديث رسول الله «صلعم» مني. فقال كعب: أما إنك لم تجد طالب شيء إلا سيشبع منه يوماً من الدهر إلاّ طالب علم أو طالب دنيا. فقال: أنت كعب. فقال: نعم. فقال: لمثل هذا جئتك[٦٦].

وكان أبو الدرداء الصحابي المشهور القاضي[٦٧] بدمشق بأمر معاوية[٦٨] بمدح كعباً ويقول: إن عند ابن الحميرية لعلماً كثيرا[٦٩]، وكذلك كان معاوية يثني على كعب خيراً ويقول: إن أبا الدرداء أحد الحكماء وإن كعب الأحبار أحد العلماء إن كان عنده لعلم كالبحار[٧٠] وإن كنا فيه لمفرطين[٧١] وحدث أن معاوية كان يحدث رهطاً من قريش بالمدينة وذكر كعب الأحبار فقال كان من أصدق هؤلاء المحدثين الذين يحدثون عن أهل الكتاب وإن كنا مع ذلك لنبلو عليه الكذب (ولعل العبارة لنتلو عليه الكذب)[٧٢].

وكذلك كان الخليفة عمر بن الخطاب يجل كعب الأحبار، وقد أمر أن يكون على رأس جماعة من الحجاج أقبلوا من الشام إلى المدينة ومكة[٧٣] وكان كلما حدث عنه سعيد أمير البصرة وهو من رجال النصف الثاني للقرن الأول الهجري قال: حدثنا هذا الرجل الصالح من أهل الكتاب كعب الأحبار...[٧٤] على أن هناك روايات

---

(٦٦) طبقات ابن سعد، جـ ٤، قسم ثان ص ٥٧.

(٦٧) طبقات ابن سعد، جـ ٧، قسم ثان، ص ١١٧.

(٦٨) ابن حجر: تهذيب التهذيب، جـ ٨، ص ١٧٦.

(٦٩) طبقات ابن سعد، جـ ٧، قسم ثان، ص ١٥٦.

(٧٠) وقد وردت هذه العبارة في كتاب تهذيب التهذيب، جـ ٨، ص ٤٣٨، على المنوال الآتي: وإن كان عنده لعلم كالثمار.

(٧١) ابن حجر: إصابة، جـ ٣، ص ٦٣٧.

(٧٢) البخاري: كتاب التاريخ الصغير، ص ٣٤، صحيح البخاري، طبع بولاق، سنة ١٣١٥، جـ ٩، ص ١١٠. كتاب الاعتصام، باب لا تسألوا أهل الكتاب، وقد نقل ابن حجر هذه الرواية وأضاف من عنده ما يأتي: هذا جميع ما له في البخاري وليس هذه برواية عنه فالعجب من المؤلف كيفما يرقم له رقم البخاري فيوهم أن البخاري أخرج له (تهذيب التهذيب، جـ ٨، ص ٤٣٨).

(٧٣) موطأ مالك، طبع مصر، سنة ١٣٤٣، جـ ١، ص ١٩٩.

(٧٤) حلية الأولياء في طبقات الأصفياء، لأبي نعيم الأصبهاني، جـ ٥، ص ٢٨٣.

يُؤخذ منها أنه وقعت بعض حوادث تعرض فيها كعب للنقد أو الاحتجاج أو وُجهت إليه فيها ألفاظ جارحة مهينة بسبب بعض آراء أبداها، فلاحت لمعارضيه وناقديه كأنها ناشئة من يهوديته فعدوها مناقضة للعقائد الإسلامية، فمن ذلك ما جاء عنه في تفسير الآية القرآنية: «يا أخت هرون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا»[٧٥] فقد قال كعب إن هرون الذي في الآية ليس بهرون أخي موسى فقالت له عائشة أم المؤمنين: كذبت، قال: يا أم المؤمنين، إن كان النبي «صلعم» قال هذا فهو أعلم وأخبر وإلاّ فاني أجد بينهما ستمائة سنة فسكتت[٧٦].

وجاء في رواية أخرى، إن ابن عباس عنف كعباً وغضب عليه غضباً شديداً، وذلك للسبب الآتي: جاء رجل إلى ابن عباس فقال له: يا ابن عباس سمعت العجب من كعب الحبر يزعم أنه يجاء بالشمس والقمر يوم القيامة، كأنهما ثوران عقيران فيقذفان في جهنم، فغضب ابن عباس، ثم قال: كذب كعب، بل هذه يهودية يريد إدخالها في الإسلام الله أجل وأكرم من أن يعذب عبده على طاعته ألم تسمع قول الله تبارك وتعالى وسخر لكم الشمس والقمر دائبين يعني دؤوبهما في الطاعة فكيف يعذب عبدين يثني عليهما، أنهما دائبان في طاعته، قاتل الله هذا الحبر وقبح حبريته ما أجرأه على الله وأعظم فريته على هذين المطيعين لله... ثم لما بلغ كعب بما كان من وجد ابن عباس من حديثه، وما حدث عن رسول الله أتى كعب إلى ابن عباس فقال: قد بلغني ما كان من وجدك من حديثي واستغفر الله وأتوب إليه وإني إنما حدثت عن كتاب دارس قد تداولته الأيدي ولا أدري ما كان فيه من تبديل اليهود، وإنك حدثت عن كتاب جديد حديث العهد بالرحمان عز وجل وعن سيد الأنبياء وخير النبيين فأنا أحب أن تحدثني الحديث فأحفظه عنك فإذا حدثت به كان مكان حديثي الأول[٧٧].

ويجب أن نلاحظ أن الطبري نفسه في تفسيره للآية القرآنية «وسخر لكم الشمس والقمر دائبين...» الخ لم يذكر شيئاً يدل على غضب ابن عباس على كعب الأحبار وإهانته له[٧٨].

وكذلك يزعم الغزالي، أن عمر بن الخطاب ضرب كعباً بالدرة بسبب سوء فهم آية قرآنية[٧٩] وهناك رواية أخرى ذكر فيها أن عائشة كذبت نظرية لكعب وكان ذلك بسبب شرحه الآية «ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى»[٨٠] إذ قال: إن

---

(٧٥) سورة مريم آية ٢٧.

(٧٦) تفسير الطبري، ج ١٦، ص ١٥، تاريخ الطبري ج ١ ص ١٠٦٩.

(٧٧) الطبري، تاريخ، ج ١، ص ٦٢ ــ ٧٤.

(٧٨) تفسير الطبري، ج ١٣، ص ١٣٤.

(٧٩) إحياء علوم الدين، ج ٤، ص ٣٨٢.

(٨٠) سورة النجم، آية ١٣ ــ ١٤.

الله تبارك وتعالى قسم رؤيته بين موسى ومحمد فكلمه موسى مرتين ورآه محمد مرتين، فأتى مسروق عائشة فقال: يا أم المؤمنين هل محمد رأى ربه فقالت سبحان الله لقد وقف شعري لما قلت، فقد كذب من أخبرك أن محمداً رأى ربه(٨١).

وليس من شك أن نظرية كعب في مسألة رؤية النبي لربه هي بعينها المذكورة في التوراة عن موسى الذي رأى ربه(٨٢).

وقد ذكر الطبري على لسان ابن عباس: إن الله اصطفى إبراهيم بالخلة واصطفى موسى بالكلام، واصطفى محمداً بالرؤية.. وكذلك قال ابن عباس، إن رسول الله «صلعم» رأى ربه بقلبه، فقال له رجل عند ذلك: أليس هو الذي لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار، قال له عكرمة: أليس ترى السماء؟ قال بلى قال أفكلها ترى؟(٨٣)

ومن العجب أن ابن عباس وعكرمة وغيرهما الذين سلكوا مسلك كعب في شرح الآية المذكورة لم ينسب إليهم الكذب ولم يوجه إليهم أقل لوم.

ونعود إلى الرواية الأولى فنقول: إن من درس شيئاً من تاريخ بني إسرائيل لا يشك في أن كعباً كان على بينة حين قال لأم المؤمنين عائشة أن هرون المذكور في الآية ليس بهرون أخي موسى، لأن هناك ثلاثة عشر قرناً تفصل بين عهد المسيح وعهد موسى كليم الله، على أنه إذا صحت هذه الرواية فلا نشك أن عائشة كانت معتمدة في معارضتها لكعب على مجرد الفهم والظن بدليل سكوتها بعد أن قال كعب: إن كان النبي صلعم قال هذا فهو أعلم وأخبر، وبدليل أن شرح الآية من الصحابة يتفق مع رأي كعب حيث قالوا: إنه قيل لمريم أم المسيح يا أخت هرون نسبة منهم لها إلى الصلاح، لأن أهل الصلاح منهم كانوا يسمون هرون وليس بهرون أخي موسى وقد قال قتادة في «يا أخت هرون» أنه كان رجلاً صالحاً في بني إسرائيل يسمى هرون فشبهوها به فقال يا شبيهة هرون في الصلاح(٨٤).

والرواية الثانية التي ذكر فيها، أن ابن عباس غضب على كعب الأحبار تناقض روايات أخرى، نذكرها فيما بعد، تثبت أن العلاقة بين ابن عباس وبين كعب كانت حسنة لا تشوبها أي شائبة، لقد كان ابن عباس حين دخل كعب المدينة شاباً لم يتجاوز الخامسة عشرة من عمره، بينما كان كعب شيخاً كبيراً، وليس من المعقول ولا من المألوف أن يعتدي ابن عباس الشاب على كعب الهرم، وأن يسلك معه المسلك الجاف الغليظ، ولو سلمنا جدلاً بوقوع نقاش بين ابن عباس الحديث السن، وبين كعب بيّن الشيخوخة، فلا شك أنه كان أخف حدة مما صور به في الرواية التي وصلت

---

(٨١) تفسير الطبري، ج ٢٧، ص ٢٧.

(٨٢) سفر الخروج، آية ١٨ ــ ٢٣.

(٨٣) تفسير الطبري، ج ٢٧، ص ٢٦، وص ٢٧.

(٨٤) تفسير الطبري ج ١٦ ص ٥١.

إلينا.

أما رواية تأديب عمر لكعب بالدرة فلا نشك في أنها مختلقة، ولم تذكر إلاّ في عهد متأخر، في عهد قصدت فيه هيئات معينة الحط من كرامة كعب، كما سنوضحه فيما بعد، إذ لا يقبل العقل السليم أن الخليفة يضرب شيخاً كبيراً وعالماً جليلاً كان يرافقه في بعض سفراته ويشاركه في مجالسه، أو أن يعامل رجلاً من رجال شورته معاملة غير لائقة، ويكفي لإثبات ذلك، إن هذه الرواية لم تذكر في أي مصدر من المصادر القديمة المعول عليها والموثوق بها.

هناك رواية ذكر فيها ما يأتي: قال عمر لكعب يوماً: خوفنا يا كعب. فقال: يا أمير المؤمنين، إنك من أمة مرحومة، ثم قالها الثانية، ثم قالها الثالثة، ثم قال كعب: والذي نفس بيده لو قد أفضيت إلى يوم القيامة ونظرت إلى النار، ثم كان لك عمل سبعين نبياً، لظننت أنك لا تنجو، والذي نفسي بيده أنها لتزفر يومئذ زفرةً لا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا سقط على ركبتيه، يقول يا رب نفسي نفسي حتى أن إبراهيم ليقول يا رب إني أنشدك خلتي إياك... فبكى عمر فاشتد بكاؤه فقال: يا أمير المؤمنين ألا أبشرك، والذي نفسي بيده ما يزال الله يومئذ برحمته وصفحه وحلمه، حتى لو كان لك عمل أربعين طاغوتاً لظننت أنك ستنجو، إن إبليس يومئذ ليتطاول طمعاً مما يرى من الرحمة[٨٥]، ومهما يكن من شأن هذه الرواية ومبلغ صحتها فإنها لتدل على أن محدثها كان قد رأى من إجلال عمر لكعب وتعظيمه إياه.

ز ــ كعب الأحبار والخليفة عمر بن الخطاب

اتصل كعب الأحبار بأمير المؤمنين عمر بن الخطاب منذ بدء مجيئه إلى المدينة، لأنه نزل عند رجل يقال له مالك، وكان جاراً لعمر بن الخطاب «فقلت له: كيف بالدخول على أمير المؤمنين، فقال: ليس عليه باب ولا حجاب، يصلي الصلاة ثم يقعد فيكلمه من شاء»[٨٦].

ثم لما أراد الخليفة أن يزور البلاد التي فتحها المسلمون في العراق والشام جمع الناس واستشارهم في الأمر فقال: إني قد بدا لي أن أطوف على المسلمين في بلدانهم لأنظر في آثارهم فأشيروا علي، وكعب الأحبار في القوم. فقال كعب: بأيها تريد أن تبدأ يا أمير المؤمنين. قال: بالعراق، قال: لا تفعل فإنّ الشر عشرة والخير عشرة أجزاء فجزء من

(٨٥) حلية الأولياء، جـ ٥، ص ٣٩٠.

(٨٦) تاريخ الطبري، جـ ١، ص ٢٧٣٧.

الخير بالمشرق وتسعة بالمغرب وإن جزء من الشر بالمغرب وتسعة بالمشرق وبها قـرن الشـيطان وكـل داء عضال[٨٧]، وهذه النظرية التي ذكرها كعب عن العراق توافق ما ورد في سفر أرميا، وما جاء من الشروح فـي المصادر اليهودية المتأخرة[٨٨]، ومما يجب أن يشار إليه، إن هذه الرواية، التي نسبها الطبري لكعب نسبها الثعلبي في قصص الأنبياء للنبي نفسه[٨٩].

وعلى كل حال، فقد عمل الخليفة بمشورة كعب، وسار يتفقد شئون المسلمين فـي الـديار الغربيـة أي الشامية، وكان كعب بين الذين خرجوا مع الخليفة إلى أمصار الشام، وكان خروج الخليفة من المدينة قبل أن يتسلم بيت المقدس بأيام قليلة للجيوش الإسلامية التي كانت تحاصرها حصاراً شديداً، وكذلك اتفق أن كان خروج الخليفة بعد مدة وجيزة من انتشار الطاعون بين الجنود وقد فتك هذا الطاعون فتكاً ذريعاً بالناس، وكان عبيدة بن الجراح من ضحاياه.

ولا نستطيع أن نستخلص من المصادر الإسلامية الأسباب التي حملت الخليفة على أن يأمر كعب الأحبار بأن يلتحق برجاله وينضم إلى حاشيته في أثناء سيره إلى الشام، فهل كان الخليفة يريد أن يكون كعب وسيطاً بينه وبين يهود الشام، أو انه أخذه معه ليقص عليه وهو في الأرض المقدسة قصص بني إسـرائيل وأنبيـائهم، أو أن كعباً كان هو الذي ألح على الخليفة في أن يأذن له بالخروج مع المسلمين إلى بيت المقدس؟ كل هذه أسئلة عنـت لنا، ولكن دون أن نستطيع الإجابة عليها إجابة مقنعة.

على أن يهود الشام كانوا ينتظرون بفارغ الصبر ــ كما فعل بعد ذلك أقباط مصر ــ قـدوم الجيـوش الإسلامية إلى الديار البيزنطية، لأنهم كانوا يئنون تحت حكم الروم الغشوم، ويتحملون مظالمهم القاسية في القـرن الخامس والسادس وأوائل القرن السابع ب. م.

فقد حدث أنْ انضم اليهود إلى جيوش الفرس حيث أقبلت طلائعها في سنة ١٦٤ ب. م. غازية أطـراف الشام، فأخذوا يحاربون البيزنطيين معهم ويكيدون لهم. وقد كتبت الغلبة في بادئ الأمر للفرس ولكن الروم عادوا فجمعوا جيوشاً جرارة وقاتلوا الفرس قتالاً عنيفاً انتهى بانتصارهم عليهم وإخراجهم الفرس من جميع أمصار

---

(٨٧) تاريخ الطبري جـ ١، ص ٢٥١٤، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء جـ ٦ ص ٢٣، المسعودي: مروج الذهب، طبع باريس، جـ ٣، ص ١٣٠.

(٨٨) راجع أرميا، الفصل الأول، آية ١٣ ــ ١٦.

(٨٩) قصص الأنبياء، للثعلبي، ص ١٦٣.

الشام[٩٠] فلما تمت للروم الغلبة على الفرس أخذوا ينتقمون من اليهود شر انتقام فأكثروا القتل فيهم، ووضعوا القوانين القاسية والقيود الشديدة على من بقي من جموعهم في الشام ومصر، واستمرت الحال على هذا المنوال، إلى أن ظهرت الجيوش الإسلامية على أطراف بادية الشام، فأخذ اليهود يمدون إليهم المساعدة، حتى أن أحد اليهود هو الذي كان سبباً في فتح مدينة قيسارية التي بفلسطين، بعد أن حاصرها المسلمون بقيادة معاوية نحو سبع سنين دون أن يتمكن من فتحها، حتى جاءها ذلك اليهودي فدلهم على طريق في سرب به ماء إلى حقو الرجل فدخلوا منه المدينة وفتحوها[٩١].

ويروي الطبري أن يهودياً توجه إلى عمر في الشام وألح عليه ألاّ يرجع إلى المدينة قبل أن يفتح أورشليم[٩٢].

أما الذي لقب عمر بن الخطاب بلقب الفاروق إنما هو رجل من اليهود، فإن معناه في الآرامية: المخلص أو المنقذ، فأطلقه اليهود على عمر بن الخطاب بعد دخوله بيت المقدس، وقال الطبري في تاريخه: بلغنا أن أهل الكتاب كانوا أول من قال لعمر «الفاروق»، وكان المسلمون يؤثرون ذلك من قولهم[٩٣] لما قدم عمر الجابية قال له رجل من اليهود: يا أمير المؤمنين لا ترجع إلى بلادك حتى يفتح الله عليك إيلياء، فبينما عمر بن الخطاب بها، إذْ نظر كردوس من خيل مقبل فلما دنوا منه سلوا السيوف فقال عمر هؤلاء قوم يستأمنون فأمنوهم، فأقبلوا فإذا هم أهل إيلياء فصالحوه على الجزية، وفتحوها له فلما فتحت عليه، دعا ذلك اليهودي فقيل له أن عنده لعلماً[٩٤] لما دخل عمر الشام تلقاه رجل من يهود دمشق فقال السلام عليك «يا فاروق» أنت صاحب إيلياء، لا والله لا ترجع حتى يفتح الله إيلياء، وكانوا قد أشجوا عمر وأشجاهم، ولم يقدر عليها ولا على الرملة، فبينما عمر معسكراً بالجابية، فزع الناس إلى السلاح فقال: ما شأنكم، فقالوا: ألا ترى الخيل والسيوف فنظر كردوس يلمعون بالسيوف، فقال عمر: مستأمنة ولا تراعوا، وأمنوهم فأمنوهم، وإذا هم أهل إيلياء فأعطوه واكتتبوا منه على إيلياء وحيزها، والرملة وحيزها، فصارت فلسطين نصفيْن نصف مع أهل إيلياء ونصف مع أهل الرملة، وهم عشر كور وفلسطين تعدل الشام كله، وشهد ذلك اليهودي الصلح[٩٥] وقد شاع هذا اللقب عند المسلمين واستعملوه كثيراً قديماً وحديثاً.

---

(٩٠) وقد ذكر القرآن هذه المواقع في الآيات الآتية: «غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ...» (سورة الروم آية ١ ــ ٣).

(٩١) فتوح البلدان، للبلاذرى، ص ١٤١.

(٩٢) تاريخ الطبري، جـ ١، ص ٢٤٠٢، الكامل في التاريخ، لابن الأثير، جـ ٢، ص ٣٩٠.

(٩٣) تاريخ الطبري، جـ ١، ص ٢٧٩٢.

(٩٤) تاريخ الطبري، جـ ١، ص ٢٤٠٢.

ولما وصل عمر بن الخطاب إلى الجابية، حيث معسكر المسلمين، جاء إليه رسل من بطريرك أورشليم يطلبون الصلح، على أن يكون المتولي للعقد عن المسلمين هو عمر بن الخطاب نفسه(٩٦)، فسار الخليفة إلى إيليا ليتولى عقد الصلح مع أهلها.

وقد ذكر الطبري أن سفرنيوس (Sofronius) بطريرك القدس، اتفق مع عمر على أن لا يسمح المسلمون لأحد من اليهود بأن يسكن إيليا(٩٧)، وذكر هذا الشرط ابن العبري المؤرخ السرياني المتوفى سنة ٦٨٥ هجرية(٩٨)، ومع أنه لم يشر إلى المصدر الذي استقى منه هذا الخبر فليس من شك في أنه أخذه من الطبري المتوفى سنة ٣١٠ للهجرة، والذي يمعن النظر في رواية الطبري، يجد أن أسانيده القديمة ترجع إلى القرن الأول للهجرة، غير أن الوسيط في نقل الرواية الأخيرة الذي اعتمد عليها الطبري مباشرة كان الرواية سيف المتوفى سنة ١٨٠ للهجرة وقد اتهمه العالم ولهوزن (Wellhausen) بأنه كان يهيئ كثيراً من الأخبار التاريخية وفقاً لمذهبه ونظرياته في التاريخ(٩٩) على أن هناك مؤرخاً عظيماً موثوقاً به كل الثقة من المعاصرين للطبري، وهو سعيد بن بطريق البطريرك الرومي الملكي المتوفى سنة ٣٢٨ للهجرة، صاحب كتاب نظم الجوهر، لم يذكر الشرط المذكور بين شروط الصلح. ولا شك أنه كمسيحي لم يكن ليهمل ذكر هذا الشرط، لو عرف أن له ظلاً من الصحة، وكذلك المؤرخ أحمد بن أبي يعقوب المعروف باليعقوبي المتوفى سنة ٢٨٤ للهجرة، وهو صاحب التاريخ المعروف باسمه، المشهور بدقة النقل وشدة التمحيص، والعناية بتحقيق كل ما يرويه، لم يذكر أن عمر حرم على اليهود أن يستوطنوا بيت المقدس بعد الفتح الإسلامي.

وقد صرحت المصادر اليهودية، بأن جماعة من اليهود كانوا في الجيوش الإسلامية حين فتحهم للديار الفلسطينية عامة, وفي أثناء حصار بيت المقدس خاصة، وأنهم اشترطوا على المسلمين أن يطهروا أرض الحرم من الكيمان والأقذار التي وضعت فيها عمداً في العصر البيزنطي، للانتقام من اليهود وامتهان شعورهم الديني والقومي، وأن بعض اليهود استوطنوا القدس مع المسلمين، وأنهم اشتروا من المسلمين جبل الطور، وهو جبل الزيتون المطل على جبل الحرم، وكانوا يأتون من بلدان مختلفة

---

(٩٦) تاريخ الطبري، جـ ١، ص ٢٧٩٢، الكامل في التاريخ، لابن الأثير، ص ٣٩٠، فتوح البلدان، للبلاذري، ص ١٤٤، البداية والنهاية، لابن كثير، جـ ٧، ص ٥٥.

(٩٧) تاريخ الطبري، جـ ١، ص ٢٤٠٥، وراجع، كتاب الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، لمجير الدين الحنبلي، جـ ١، ص ٢٢٤، الذي نقل الخبر عن الطبري.

(٩٨) Chronicum Syriacum ed Kirsch. Leipzig 1789 p. 108

(٩٩) Wellhausen: Skizzen und Vorarbeiten Heft IV.

ليجتمعوا عليه ويؤدوا واجب الصلاة(١٠٠).

وكذلك نعلم من رسالة العالم سليمان بن يروحام القرائي، الذي عاش في النصف الأول من القرن العاشر للميلاد بالقدس، أن اليهود أطلقت لهم حرية الدخول والسكنى ببيت المقدس، حين ظهور ملكـوت إسـماعيل(١٠١)، وكذلك يتضح لنا من مراجع مسيحية، أن اليهود أقاموا ببيت المقدس بعد الفتح الإسلامي مباشرةً. يقول ثيوفـانس كونفسور (Theophanes Confessor) الذي عاش في نهاية القرن الثامن وأوائل القرن التاسع للميلاد أن اليهـود أشاروا على الخليفة عمر بن الخطاب بإزالة الصلبان من الكنيسة الكبرى، التـي وجـدت علـى الطـور إمـام الحرم(١٠٢).

وكذلك يروي الرحالة الأسقف أركلف (Arculf) الذي كان من عنصر غالي، والذي حـج إلـى ديـار فلسطين سنة ٦٧٠ للميلاد، أي في أثناء خلافة معاوية بن أبي سفيان، أنه وجد في القدس طائفتين مـن اليهـود، كانت الواحدة قد اعتنقت المسيحية والأخرى على دين أسلافها من اليهود(١٠٣).

ويشهد المؤرخ الأرمني سيوبوس (Seveus) أن عمر سمح لليهود ببنـاء معبـد للصـلاة داخـل أرض الحرم(١٠٤).

وليس من شك في أن اليهود استوطنوا القدس وأقاموا بها طوال العصـور الإسـلامية إلـى أن تغلـب الصليبيون على بيت المقدس في ١٥ يوليو سنة ١٠٩٩، وذبحوا جميع سكانها من المسلمين واليهود ذبحاً مروعاً.

ويجب أن نلفت الأنظار إلى أن عبد الملك بن مروان، الذي عمر قبة الصخرة والمسجد الأقصى علـى أرض الحرم سنة ٦٩٠ للميلاد، أمر بإحضار عشر أسر من اليهود لتقوم بالحراسة والتنظيف فيهما(١٠٥) وكان لـه من الخدم اليهود الذين لا

---

(١٠٠) J. Mann: The Jews in Egypt and Palestine under the Fatimid Caliphs I S 43-47. Muir: Annals of the early Califate p. 212.
Dubnow: Geschichte des Jüdischen Volkes III P. 410.

(١٠١) Neubauer: Aus der Peterburger Bibliothek 109 VII Cp. p. 12.

(١٠٢) راجع مقالة شوابه «اليهود والحرم بعد الفتح العمري» مجلة صهيون السنة الثانية ص ١٠٢ (Schwabe).

(١٠٣) راجع
Arculf: Eines Pilgers Reise nach dem heiligen Lande um 670 aus dem lateinischen übersetzt und erklärt von Paul Mickley. Leipzig 1917, p. 29-31.

(١٠٤) Caetani: Annali der Islam III p. 941 (S 144 17 a. H)

(١٠٥) الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، لمجير الدين الحنبلي، ج ١، ص ٢٤٩.

يؤخذ منهم جزية عشرة رجال، وتوالدوا فصاروا عشرين لكنس أوساخ المسجد، الناشئ في المواسم والشتاء والصيف ولكنس المطاهر التي حول الجامع.. وله من الخدم اليهود جماعة يعملون الزجاج والقناديل والأقداح والثريات وغير ذلك لا يؤخذ منهم جزية، ولا من الذين يقومون بالقش لفتائل القناديل، جارياً عليهم وعلى أولادهم أبداً ما تناسلوا، من عهد عبد الملك بن مروان وهلم جرا..(١٠٦) وهناك مخطوطة قديمة من الجنيزة اليهودية بمصر من القرن الحادي عشر للميلاد، تشهد بأن عمر وافق على استيطان سبعين أسرة من اليهود بالقدس، وقد تم انتقال هذا العدد من الأسر من طبريا ونواحيها، ونزلت في جنوب المدينة، وهي موضع حارة اليهود إلى يومنا، أن نشير إلى أن اليهود قد انقطعوا عن بيت المقدس من سنة ١٣٥ ب. م. التي نشر فيها القيصر مرسومه أدريان المشهور حيث فيه أصدر أمره بمنع اليهود من الإقامة بالقدس وكان هو الذي أطلق عليها اسم إيليا (Aelia Capitolina)، على أن اليهود قد أعدوا الكرة للعودة إليها سنة ٣٦٢، بأمر القيصر يوليان الذي رغب رغبة صادقة في أن يعمر اليهود هيكلهم المقدس، ولكنهم منوا بالفشل بسبب قتل القيصر بعد عام واحد فأعيدت الحالة إلى ما كانت من ذي قبل ونحن ننقل من المخطوط ما يلي:

«... ثم انه أمرهم بكنس القدس وتنظيفها وعمر يشرف عليهم.. فكل ما انكشف... سأل شيوخ اليهود عن الصخرة فكان بعض العلماء يحدد له الموضع إلى أن انكشف، فأمر بأن يبني سور القدس ويبني على الصخرة قبة تُطلى بالذهب. وبعد ذلك أرسل اليهود إلى سائر (بلاد) الشام يعرفون (إخوانهم) بما وافقهم (عليه) عمر. فأرسلوا إليهم يقولون، وكم يكون عدد القوم المنتقلون إلى القدس. فدخلوا إلى عمر وقالوا له: وكم يأمر أمير المؤمنين بأن ينتقل إلى هذا البلد من طائفة اليهود، فقال عمر: ماذا يقول خصمكم ثم تتكلمون أنتم وبعد ذلك أقول أنا ما يزيل الخلاف فيما بينكم. ثم أحضر البطريق وأصحابه... فقال البطريق يكون (عدد) المنتقلين بأهاليهم وصبيانهم خمسين بيت، فأجابهم اليهود ما نكون أقل من مائتين بيت، فطالت المخاصمة بينهم إلى أن أمر عمر بسبعين بيت. فأجابوا إلى ذلك. ثم أنه قال: أين تحبون أن تسكنوا في البلد فقالوا: جنوب البلد وهو سوق اليهود. وكان طلبهم قرب القدس وأبوابها وكذلك مع السلوان للاستحمام. والسلوان هي القرية الملاصقة البنايات إلى يومنا إلى جبليْ صهيون والحرم، وفيها العين المشهورة من أقدم الأزمنة فأنعم أمير المؤمنين عليهم بذلك، ثم انتقل من طبريا وحولها السبعون بيت بنسائهم وأولادهم وعمروا ناحيتهم بالبناء...»(١٠٧).

---

(١٠٦) الأنس الجليل، جـ ١، ص ٢٤٩.

(١٠٧) راجع المخطوط في مقالة العالم سمحا اسف: استيطان اليهود بالقدس بعد الفتح الإسلامي في مجلة: الجمعية العبرية للبحث عن العاديات في إسرائيل سنة ٧ ص ٢٥ ــ ٢٧.

أما الذي يؤسف له أشد الأسف أن المخطوط متقطع في أوله وفي نهايته، لذلك لا يمكننا أن نحدد زمن تأليفه، ولعله قد دون في عهد الحاكم بأمر الله، الذي فيه ساءت حالة اليهود والمسيحيين، وقد وصل إلينا من ذلك العصر في أدب الجنيزة، مخطوطات كثيرة جداً، يشتمل عدد منها على نقولات عن وثائق سياسية قديمة، كان اليهود في حاجة شديدة إليها في أوقات المحن والاضطرابات...

والمخطوط مدون بالقلم العبري، بأسلوب عربي مشوب ببعض الألفاظ العبرية، والأغلاط العربية الشائعة في الرطانة العربية عند اليهود بمصر.

كل هذا لا ينقص من قيمة المخطوط من الوجهة التاريخية، لأنه يؤيد النظرية عن إقامة اليهود بالقدس منذ الفتح الإسلامي، التي وردت في المصادر اليهودية والمسيحية السالفة الذكر تأييداً جلياً.

ومهما يكن من شيء فإن من المرجح أن جماعات قليلة من اليهود استوطنت بيت المقدس وكثرت على مر الزمن، بحيث لم ينقض القرن الأول للهجرة، حتى كان في بيت المقدس طائفة يهودية كبيرة، منقسمة إلى فرقتين لكل فرقة كنائسها ومدارسها(١٠٨).

ولنسرد الآن روايات الطبري عن كعب الأحبار، في أثناء إقامته ببيت المقدس، كي نقف على مبلغ التأثير، الذي كان للمدينة المقدسة في قلبه، قال الطبري: لما شخص عمر من الجابية إلى إيلياء، فدنا من باب المسجد، قال: أرقبوا لي كعباً. فلما انفرق به الباب قال: لبيك اللهم لبيك بما هو أحب إليك، ثم قصد للمحراب محراب داود وذلك ليلاً، فصلى فيه ولم يلبث أن طلع الفجر، فأمر المؤذن بالإقامة، فتقدم وصلى بالناس وقرأ بهم، ص، وسجد فيها، ثم قام وقرأ بهم في الثانية، صدر بني إسرائيل، ثم ركع، ثم انصرف فقال: علي بكعب، فأتي به فقال: أين ترى أن نجعل المصلى. فقال: إلى الصخرة، فقال ضاهيت والله اليهودية يا كعب، وقد رأيتك وخلعك نعليك، فقال: أحببت أن أباشره بقدمي. فقال: قد رأيتك، بل نجعل قبلته صدره كما جعل رسول الله صلعم قبلة مساجدنا صدورها، اذهب إليك فأنا لم نؤمر بالصخرة، ولكنا أمرنا بالكعبة، فجعل قبلته صدره، ثم قام من مصلاه إلى كناسة كانت الروم قد دفنت بها بيت المقدس في زمن بني إسرائيل، فلما سار إليهم أبرزوا بعضها، وتركوا سائرها. فقال: يا أيها الناس اصنعوا كما أصنع، وجثا في أصلها، وجثا في فرج من فروج قبائه، وسمع التكبير خلفه، وكان يكره سوء الرعة في كل شيء، فقال: ما هذا فقالوا: كبر كعب وكبر الناس بتكبيره. قال: علي به، فأتي به فقال: يا أمير المؤمنين، إنه قد تنبأ على ما صنعت اليوم نبيٌّ منذ خمسمائة سنة، قال: وكيف فقال: إن الروم أغاروا على بني إسرائيل

---

(١٠٨) راجع كتاب ميخائيل آسف: تاريخ الحكم العربي في أرض إسرائيل طبع تل أبيب سنة ١٩٢٥ ص ١٠٩ ــ ١١٨.

فأديلوا عليهم فدفنوه، ثم أديلوا فلم يفرغوا له حتى أغارت عليهم فارس، فبغوا على بني إسرائيل ثم أديلت الـروم عليهم إلى أن وليت، فبعث الله نبياً على الكناسة، فقال: أبشري أوري شليم عليك الفاروق، ينقيك مما فيك وبعـث إلى القسطنطينية نبي فقام على تلها فقال: يا قسطنطينية ما فعل أهلك ببيتي أخربوه وشبهوك بعرشي، وتأولوا علي فقد قضيت عليك أن أجعلك، جلجاء يوماً ما لا يأوى إليك أحد ولا يستظل فيك على أيدي بني القاذر وسبأ وودان، فما أمسوا حتى ما بقي منه شيء..(١٠٩).

وفي رواية أخرى منسوبة لكعب ورد ما يأتي: أن القسطنطينية شمتت بخراب بيت المقدس، فتعززت وتجبرت فدعيت العاتية المستكبرة. فقالت: إن كان عرش الله بني على الماء، فقد بنيت على الماء، فأعدها الله بعذاب قبل يوم القيامة وقال: لانزعن حليك وحريرك وخميرك ولاتركنك لا يصرخ ديكك، ولا يقوم أحد إلى جدار من جدرك ولا أجعل لك عامراً إلا الثعالب (العبارة عبرية: כשועלים בחרבות حزقيال فصل ١٣ آية ٤) ولا نباتا إلا الحجارة والينبوت ولا يحول بينك وبين السماء شيء، ولاتركن عليك نيراناً ثلاثاً من السماء، ناراً من زفت وناراً من قطران، وناراً من نفط، ولأتركنك جدعاء قرعاء، وليبلغني صوتك وأنا في السماء...(١١٠).

ومما لا شك فيه أن الذي ألقى تلك الخطبة البليغة بين يدي الخليفة عمر بن الخطاب، أو بالحري الـذي ألفها ونمقها، سواء صحت نسبتها إلى كعب، أو لم تصح، كان ملماً إلماماً شاملا بآداب التلمود ورد فيه تهديد شديد وإنذار رهيب للروم على ما ارتكبوه من تخريب لديار اليهود ودمار لهيكل أورشليم وتشتيت لبني إسـرائيل فـي جميع أنحاء المعمورة(١١١).

---

(١٠٩) تاريخ الطبري، ج ١، ص ٢٤٠٨ ــ ٢٤٠٩.

(١١٠) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ج ٦، ص ٤٥.

(١١١) راجع التلمود سنهدرين ص ٩٨ «أ». يوما ص ١٥ «أ».

وكذلك هناك جملة آيات في الكتاب المقدس، أمام الراوي في أثناء نقله العبارات المذكورة منها الجملة: «ابشرى أورى شلم عليك الفاروق ينقيك مما فيك» المذكورة في سفر إشعيا فصل ٤٠ آية ٩ وفصل ٤١ آية ٢٨، وكذلك الجملة: «أن أجعلك جلجاء يوماً ما لا يأوى إليك أحد ولا يستظل فيك» مذكورة في سفر إشعيا فصل ١٣ آية ١٩، ثم الجملة: «على أيدي بني القاذر وسبأ وودان» ورد لها الذكر الصحيح في سفر حزقيال فصل ٢٧ آية ١٩.

وفي هذه المناسبة نذكر بعض الروايات التي يمتدح فيها كعب بيت المقدس ويجلها إجلالاً لا مزيد عليها فقد قيل على لسان كعب: قرأت في التوراة إن الله عز وجل يقول للصخرة أنت عرشي الأدنى منك ارتفعت إلى السماء ومن تحتك بسطت الأرض، من أحبك أحبني ومن أبغضك أبغضني، ومن مات فيك، فكأنما مات في السماء، واجعل لمن يسكنك، ألا يفوته الخبز والزيت أيام حياته، وكل ماء عذب من تحتك يخرج، لا تذهب الأيام حتى يزف إليك البيت الحرام، وكل بيت يذكر فيه اسمي يحفون بك كما يحف الركب بالعروس، (الهمذاني: كتاب البلدان، طبع ليدن، سنة ١٨٨٥،

وهناك رواية تقول، إنه لما جاء عمر إلى بيت المقدس، كان معه كعب، فقال: يا أبا اسحق أتعرف موضع الصخرة، فقال: أذرع من الحائط الذي يلي وادي جهنم، كذا وكذا ذراعاً، ثم احتفر فإنك تجدها. وكانت يومئذ مزبلة فحفروا، فظهرت لهم فقال عمر لكعب: أين ترى أن نجعل المسجد أو القبلة فقال: اجعلها خلف الصخرة فتجمع القبلتين: قبلة موسى عليه السلام، وقبلة محمد «صلعم»، فقال: ضاهيت اليهودية يا أبا اسحق خير المساجد مقدمها، فبناها في مقدم المسجد(١١٢)، ويظهر أن عبد الله بن سلام، من مسلمة بني النضير بالمدينة، شهد فتح بيت المقدس مع عمر(١١٣) وتخلف كعب الأحبار في بيت المقدس بعد أن رجع الخليفة إلى المدينة.

وقد شاء القدر أن يذكر اسم كعب في حادثة اغتيال الخليفة عمر بن الخطاب، الذي قتله أبو لؤلؤة الفارسي(١١٤)، أما الذي ورد عن كعب في تلك الحادثة المحزنة عليه مسحة من الخرافة، إذ يقال إن كعباً جاء إلى عمر وقال له: يا أمير المؤمنين اعهد فإنك ميت في ثلاثة أيام قال: وما يدريك قال: أجده في كتاب الله عز وجل التوراة قال عمر: الله، إنك لتجد عمر بن الخطاب في التوراة؟ قال: اللهم لا، ولكني أجد صفتك وحليتك وإنه قد فني أجلك، وكان عمر لا يحس وجعاً ولا ألماً، فلما كان من الغد جاءه كعب فقال: يا أمير المؤمنين ذهب يوم وبقي يومان، ثم جاءه من غد فقال: ذهب يومان وبقي يوم وليلة ولك إلى صبيحتها، فلما كان الصبح خرج عمر إلى الصلاة وكان يوكل بالصفوف رجالاً فإذا استوت جاء هو فكبر. ودخل أبو لؤلؤة في

ص ٩٧) وقال كعب: من زار البيت المقدس شوقاً إليه دخل الجنة ومن صلى فيه ركعتيْن خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه وأعطي قلباً شاكراً ولساناً ذاكراً ومن تصدق فيه بدرهم كان فداءه من النار، ومن صام فيه يوماً واحداً كتبت له براءته من النار... لقد زار جميع الأنبياء بيت المقدس تعظيماً له، ولا تسمّوا بيت المقدس إيلياء، ولكن سموه باسمه فإن إيلياء امرأة بنت المدينة (الهمذاني: كتاب البلدان، ص ٩٥، ياقوت: معجم البلدان ج ٤، ص ٥٩٢).

(١١٢) كتاب الأموال، لأبي عبيد، طبع مصر، سنة ١٢٥٣ ص ١٥٤، والأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، لمجير الدين الحنبلي، ج ١، ص ٢٢٧.

ووادي جهنم المذكور في الرواية هو المشهور في الكتاب المقدس بوادي ابن هنوم (גיא בן־הנום) الذي كان في الناحية الجنوبية الشرقية من سور بيت المقدس الذي كان الوثنيون يقدمون فيه أولادهم ضحايا للصنم (ملك).

ومن هذا اللفظ اشتقت كلمة جهنم للدلالة على نار الآخرة وموضع تعذيب الأشرار ولم يطلق هذا اللفظ في الكتاب المقدس على نار الآخرة وإنما ورد إطلاقه على ذلك في المشنا والتلمود، ومن اليهود انتقل إلى المسيحيين والمسلمين أيضاً «راجع كلمة جهنم (Gehenna) **في دائرة المعارف:** The Jewish Encyclopedia V p. 582-584.

(١١٣) الأنس الجليل، ج ١، ص ٢٣٢.

(١٣٤) تاريخ الطبري، ج ١، ص ٢٧٢٢.

الناس في يده خنجر له رأسان نصابه في وسطه فضرب عمر ستة ضربات إحداهن تحت سرته، وهي التي قتلته، وقتل معه كليب بن أبي البكير الليثي، وكان خلفه، فلما وجد عمر حر السلاح سقط، وقال: أفي الناس عبد الرحمن بن عوف؟ فقالوا: نعم يا أمير المؤمنين هو ذا. قال: تقدم فصلِّ بالناس، فصلى عبد الرحمن بن عوف وعمر طريح ثم حمل فأُدخل داره فدعا عبد الرحمن بن عوف فقال، إني أريد أن أعهد إليك فقال: يا أمير المؤمنين، نعم إن أشرت علي قبلت منك.. ودخل في الناس كعب فلما نظر إليه عمر أنشأ يقول:

فأوعدني كعب ثلثاً أعدوها ولا شك أن القول ما قال لي كعب
وما بي حذار الموت إني لميت ونلنا حذار الذنب يتبعه الذنب(١١٥)

ومع أن الأقدمين لم يتهموا كعباً بالذات باشتراكه في حادثة التآمر على حياة عمر بن الخطاب، فإن أحد المعاصرين وهو نبيه بك العظم، يوجه تهمة الاشتراك في اغتيال عمر إلى كعب الأحبار، فهو بعد أن وصف حادثة قتل أمير المؤمنين بيد أبي لؤلؤة الأثيمة، يقول ما نصه:.. «كان كعب واقفاً على أمر هذه المؤامرة، فأنذر عمر بالقتل قبل ثلاثة أيام من قتله، وإلاّ فقوله لعمر أنه رأى خبر قتله في التوراة كلام غير مقبول، يرفضه العقل بتاتاً، وليس عليه دليل، كما أنه ليس لكعب أن يعلم الغيب، وإنما علمه عند الله، ومن المحتمل أن لا يكون لكعب الأحبار يد في هذه المؤامرة إلاّ أنه علمها وأراد أن يعرض بذكرها لعمر بالكتابة تحذيراً له، ولم يشأ أن يصرح له بذلك لأمر لا نعلمه، إلا أن عمر لم يعبأ لسلامة صدره بقوله ولم يشدد عليه بالسؤال، وربما لم يخطر له ذلك الأمر في بال، لما يعلمه في نفسه من القيام على الحق والعدل وإنصاف الناس، مسلمهم وغير مسلمهم، عربيهم وعجميهم، ومن كان هذا شأنه يكون بالطبع آمنا غائلة الناس وغدر الغادرين(١١٦).

ويظهر أنّ هذا الرأي وجد قبولاً حسناً عند غيره من الباحثين، فإن الأستاذ عبد الوهاب النجار، يعلن صراحةً أن حكاية أخبار كعب لعمر بمصرعه على الوجه المروي لو كانت صحيحة لم يبق عند الواقف عليها شك، في أن هذا الرجل كان واقفاً على ما دبره فيروز أبو لؤلؤة، من اغتيال عمر، وأن خطة السير للوصول إلى قتله، كان كعب الأحبار عارفاً بها، واقفاً عليها وقفاً تاماً، وإنما أراد بإخبار عمر على هذا الوجه أن تزيد منزلته عند المسلمين وينال الحظوة فيهم، وتكون رواياته وحكاياته أكثر قبولاً، ولو وجد محقق ذكي وعرض عليه أمر كعب الأحبار وما أخبر به عمر قبل القتل، ما نجا كعب من النكال ولعد شريكاً للجاني(١١٧).

---

(١١٥) تاريخ الطبري، جـ ١، ص ٢٧٢٢، تاريخ الكامل، لابن الأثير، جـ ٣، ص ٣٨ ــ ٣٩.

(١١٦) أشهر مشاهير الإسلام، طبع مصر، سنة ١٩٠٨، جـ ٢، ص ٤٧٤.

(١١٧) تاريخ الإسلام: الخلفاء الراشدون، طبع مصر، سنة ١٣٤٨، ص ٢٥٠.

ولسنا نشك، في أن التهمة الموجهة إلى كعب الأحبار باطلة، لا تعتمد على أي دليل تاريخي، ولم نجد أحداً من العلماء أو المؤرخين الذين بحثوا بحثاً عميقاً مستفيضاً في فجيعة عمر، يلقي تبعة اغتياله على كعب، أو يشير إلى وجود شبهة في اشتراكه، تسربت إلى نفوس بعض الصحابة أو التابعين، وعلى العموم فليس من المعقول، أن يشترك كعب في تدبير اغتيال الخليفة، وهو الذي رافقه منذ دخل المدينة وظل في صحبته سنين عديدة.

وقد حدث أن عبيد الله بن عمر بن الخطاب، قتل الهرمزان وجفينة، لأنه اتهمهما بالاشتراك في تدبير مؤامرة اغتيال والده[١١٨]، وكذلك قتل ابنة أبي لؤلؤة[١١٩]. فلو كان هناك أي شك في اشتراك كعب في تنظيم الجريمة، لشاع أمره وانكشف سره، ولكان سيف عبيد الله قد أصابه كما أصاب غيره ممن حامت الشبهات حولهم، لقد كانت شبهة ولا شك تلك التي دفعت عبيد الله إلى قتل من قتل، لأنه لم يقم أي دليل على اشتراكهم في المؤامرة، أو علمهم بتدبيرها، ولذلك عنف الخليفة عثمان بن عفان عبيد الله، على قتله أناساً أبرياءً، كانوا في ذمة المسلمين[١٢٠]، حتى أشار عليه علي بن أبي طالب أن ينفذ فيه حكم الإعدام لأنه قتل في الإسلام، ولكن بعض المهاجرين قالوا: قتل عمر أمس ويقتل ابنه اليوم، فجعلها عثمان دية واحتملها في ماله[١٢١].

أما رواية التنبؤ المنسوب إلى كعب فلا تدل على اشتراكه في المؤامرة أو علمه بأمرها، إذ أنها لا تعدو أن تكون إحدى تلك الحالات، التي كان بعض أفراد العرب يحسون فيها بقرب وقوع بعض الحوادث الجسيمة، وقد تنبأ رجال آخرون من الصحابة بوقوع هذا الحادث الجلل، فقد ورد في كتاب الطبقات، أن بعض الصحابة وبعض الحجاج وقد تنبؤا، بأن عمر لا يقف هذا الموقف بعد عامهم ذاك وأنه سيقتل[١٢٢] ولا أدري لماذا لم يتهم نبيه بــك العظم، والعلامة النجار أبا موسى الأشعري ولا غيره ممن تنبأوا في الحج وأعلنوا قرب موت الخليفة.

على أن هناك من المؤرخين الأقدمين من لم يذكر شيئاً عن تنبؤ كعب الأحبار بموت الخليفة، ومن هؤلاء الحافظ أبو سعيد إسماعيل بن علي بن رنجويه الرازي، المتوفى سنة ٤٤٥ للهجرة، فإنه لم يذكر كعباً في حادثة اغتيال الخليفة مطلقا[١٢٣].

---

(١١٨) طبقات ابن سعد، جـ ٣، قسم أول، ص ٢٥٤.

(١١٩) تاريخ الطبري، جـ ١، ص ٢٧٩٦.

(١٢٠) طبقات ابن سعد، جـ ٣، قسم أول، ص ٢٥٤.

(١٢١) تاريخ الطبري، جـ ١، ص ٢٧٩٥.

(١٢٢) طبقات ابن سعد، جـ ٣، قسم ١، ص ٢٤١ ـــ ٢٤٢.

(١٢٣) راجع المختصر من كتاب الموافقة بين أهل البيت والصحابة، اختصار جار الله أبي القاسم محمد عمر الزمخشري، مخطوط بدار الكتب المصرية بالخزانة التيمورية، تاريخ، رقم ٢٣١١ ص ٣٧.

فالرواية نفسها مشكوك في صحتها، ويزيد هذا الشك، إن رواية الطبري تحدد ثلاثة أيام لوقوع الحادث، بينما رواية ابن سعد تمتد فيها المدة إلى شهر كامل، إذ ورد فيها، إن عمر بن الخطاب دعا أم كلثوم بنت علي أن أبي طالب، وكانت تحته فوجدها تبكي: فقال: ما يبكيك؟ فقالت: يا أمير المؤمنين هذا اليهودي (تعني كعب الأحبار) يقول: إنك على باب من أبواب جهنم. فقال عمر: ما شاء الله إني لأرجو أن يكون ربي خلقني سعيداً، ثم أرسل إلى كعب فدعاه فلما جاءه كعب قال: يا أمير المؤمنين لا تعجل على والذي نفسي بيده لا ينسلخ ذو الحجة حتى تدخل الجنة. فقال عمر: أي شيء هذا مرة في الجنة ومرة في النار فقال: يا أمير المؤمنين والذي نفسي بيده إنا لنجدك في كتاب الله على باب من أبواب جهنم تمنع الناس أن يقعوا فيها فإذا مت لم يزالوا يقتحمون فيها إلى يوم القيامة(١٢٤).

وهناك روايتيْن في كتاب حلية الأولياء عن تنبؤات لعمر تذكر الواحدة، إن عمر أرسل إلى كعب فقال له: يا كعب كيف تجد نعتي في التوراة؟ قال: خليفة قرن من حديد لا يخاف في الله لومة لائم، ثم خليفة تقتله أمته ظالمين له ثم يقع البلاءُ بعده(١٢٥).

وتذكر الثانية، إن عمر قال لكعب حدثنا عن الموت، قال: يا أمير المؤمنين غصن كثير الشوك يدخل في جوف الرجل فتأخذ شوكة بعرق يجذبه رجل شديد الجذب، فأخذ ما أخذ وأبقى ما أبقى(١٢٦).

وكان كعب الأحبار بين الذين جزعوا لفجيعة عمر، لأنه لما طعن عمر جاء كعب فجعل يبكي بالباب ويقول: والله لو أن أمير المؤمنين يقسم على الله أن يؤخره لأخره. فدخل ابن عباس عليه فقال: يا أمير المؤمنين هذا كعب يقول: كذا وكذا. قال: إذن والله لا أسأله، ثم قال ويل لي ولأمي إنْ لم يغفر الله لي(١٢٧).

وكان المعاصرون لكعب يعتقدون أنه يعلم الغيب، ويخبر الناس بما يحدث لهم في المستقبل وقد قال ذات يوم وهو يسير خلف عثمان: الأمير بعده والله صاحب البغلة وأشار إلى معاوية، ثم لما بلغ الأمر معاوية، وسأل كعباً قال: نعم أنت الأمير بعده، ولكنها والله لا تصل إليك حتى تكذب بحديثي هذا فوقعت في نفس معاوية(١٢٨).

---

(١٢٤) طبقات ابن سعد، جـ ٣، قسم ١، ص ٢٤٠.

(١٢٥) حلية الأولياء، جـ ٦ ص ٢٥.

(١٢٦) حلية الأولياء جـ ٥، ص ٣٦٥.

(١٢٧) طبقات ابن سعد، جـ ٣، قسم ثان، ص ٢٦٢.

(١٢٨) تاريخ الطبري، جـ ١، ص ٢٩٤٧، الكامل في التاريخ، لابن الأثير، جـ ٣، ص ١٢٣. كتاب أنساب الأشراف، للبلاذري، طبع الجامعة العبرية بالقدس، جـ ٥، ص ١١.

وكذلك شهد عبد الله بن الزبير لما أتي إليه برأس المختار: ما وقع في سلطاني شيء إلاّ أخبرني به كعب، إلاّ أنه ذكر لي أنه يقتلني رجل من ثقيف، وهذه رأسه بين يدي وما درى أن الحجاج خبئ له...[١٢٩].

ونسبت مراجع شيعية كذلك علم الغيب لكعب الأحبار، ويتضح ذلك من الرواية الآتية: قال عمر لكعب الأحبار، حدثنا عن شيء من التوراة في هذه الأمة، فقال له علي: ويحك يا كعب أتدري ما قلت. قال: نعم. قال: ولم لا يدخلون الجنة وهم يشهدون أن لا إله إلا الله ومحمد رسول الله ويصومون ويصلون. فقال يا علي، إنك لتعلم ذلك وهو أنهم سيظلمون صديق هذه الأمة وعالمها الأكبر وخليفة نبيه من بعده حقه.. وركب حماره منطلقاً إلى قباء، فقال عمر: عهد الله علي إنْ لم يخرج مما قال لأضربن عنقه، ايتوني به الساعة فلما جيء به جلس عنده فقال هو والله على بن أبي طالب. فقال عمر: لقد ضلت أمة محمد وعموا من بعده وما حفظوا وصيته[١٣٠].

ح ـ كعب الأحبار والخليفة عثمان بن عفان

كان كعب قد تودد إلى عثمان بن عفان، وأخلص له إخلاصاً، كما كان شأنه مع سابقه عمر بن الخطاب.

وكان من جراء الاستيلاء، الذي استولى على قلوب الصحابة وأصحاب المكانة الرفيعة من الأنصار والمهاجرين، أن بدت بوادر الفتنة على الخليفة في الأمصار الإسلامية، ثم اضمحل نفوذه ولم يستطع أن يقاوم المعارضة ويقضي عليها قبل استفحالها.

وكان الناس يدخلون عليه ويقرعونه تقريعاً كلما وجدوا إلى ذلك سبيلاً، كما فعل أبو ذر الغفاري، حين دخل على عثمان بن عفان، وعنده كعب الأحبار فقال لعثمان: لا ترضوا من الناس بكف الأذى حتى يبذلوا المعروف وقد ينبغي للمؤدي الزكاة أن لا يقتصر عليها، حتى يحسن إلى الجيران والإخوان ويصل القرابات فقال

---

(١٢٩) الإصابة، لابن حجر، جـ ٣، ص ٦٣٧، تهذيب، ابن حجر، جـ ٨ ص ٤٤٠، الكامل، لابن الأثير، جـ ٤، ص ٢٩٣، وكذلك يقص ياقوت أن في أثناء إقامة عمر بالشام جاءه شريك بن حباشة، وفي يده ورقة يواريها الكف، وتشتمل على الرجل وتواريه فقال يا أمير المؤمنين إني وجدت في القلت (ولعلها القلت المعروفة إلى يومنا في جهات أريحا القريبة من نهر الأردن) سرباً وأتاني آت فأخرجني إلى أرض لا تشبهها أرضكم وبساتين لا تشبه بساتين أهل الدنيا، فتناولت منه شيئاً فقال لي ليس هذا أوان ذلك. فأخذت هذه الورقة فإذا هي ورقة تين فدعا عمر كعب الأحبار، وقال أتجد في كتبكم أن رجلاً من أمتنا يدخل إلى الجنة ثم يخرج قال نعم وإن كان في القوم أنبأتك به فقال هو في القوم فتأملهم فقال هذا هو... (معجم البلدان جـ ٤ ص ١٥٧).

(١٣٠) تنقيح المقال للمامقاني جـ ٢ ص ٣٩ رقم ٢٨٨٢.

كعب: من أدى الفريضة فقد قضى ما عليه فرفع أبو ذر محجنه فضربه فشجه، فاستوهبه عثمان فوهبه له، وقال يا أبا ذر اتق الله واكفف يدك ولسانك، وقد كان يقول له: يا ابن اليهودية ما أنت وما ها هنا والله لتسمعن مني أو لأدخل عليك[131] وقال عثمان يوماً: أيجوز للإمام أن يأخذ من المال فإذا أيسر قضى. فقال كعب الأحبار: لا بأس بذلك، فقال أبو ذر: يا ابن اليهوديين أتعلمنا ديننا. فقال عثمان ما أكثر أذاك لي..[132] وهناك رواية غامضة منسوبة لكعب تدل على مبلغ اضطراب النفوس في أخريات أيام عثمان بن عفان. قال كعب يأتي على الناس زمان ترفع فيه الأمانة وتنزع فيه الرحمة وتكثر فيه المسألة، فمن سأل عند ذلك الزمان لم يبارك له فيه[133].

ط ــ كعب الأحبار ينزح إلى الديار الشامية

رحل كعب إلى الشام في أخريات أيامه، واستوطن بمدينة حمص[134]، ومع أن المصادر الإسلامية، لا تذكر سبباً لهجرة كعب إلى الشام، فإننا نعتقد أن الحالة السياسية التي كانت عليها المدينة، وبوادر انتشار العصيان على الخليفة، هي التي أدت إلى خروج الذين آثروا ألاّ يكونوا بالمدينة في أثناء قيام المحنة والفتنة على عثمان بن عفان، وكان عمرو بن العاص من الذين رأوا ببصيرتهم الثاقبة عاقبة الأمور فنزح إلى فلسطين[135].

كذلك نعلم، أن في أثناء وقوع كارثة عثمان، كان عبد الله بن عباس في مكة[136]، وكان بين الذين لم يتخلفوا عن المدينة عبد الله بن سلام، الذي خاطر بحياته، وقام على باب دار عثمان ينهى المهاجرين عن قتله، وقال يا قوم: لا تسلوا سيف الله عليكم، فوالله إنْ سللتموه لا تغمدوه، ويلكم إن سلطانكم اليوم يقوم بالدرة، فإنْ قتلتموه لا يقوم إلا بالسيف، ويلكم إن مدينتكم محفوفة بملائكة الله، والله لئن قتلتموه لتتركنها، فقالوا: يا ابن اليهودية، وما أنت وهذا. فرجع عنهم[137] ويذكر في هذه المناسبة، إن صفية بنت حيي بن أحطب، قد وضعت خشباً بين منزلها ومنزل عثمان، تنقل إليه الماء والطعام[138].

---

(١٣١) تاريخ الطبري، جـ ١، ص ٢٨٦، ابن خلدون، تاريخ، طبع مصر، سنة ١٢٨٤، جـ ١، ص ١٣٩.

(١٣٢) أنساب الأشراف، للبلاذري، طبع الجامعة العبرية، جـ ٥، ص ٥٢.

(١٣٣) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم أحمد الأصبهاني، جـ ٥، ص ٣٦٧.

(١٣٤) طبقات ابن سعد جـ ٥، ص ١٥٦، الطبري، جـ ٣، ص ٢٤٨٤، مروج الذهب للمسعودي طبع باريس، جـ ٤ ص ٢٧٠.

(١٣٥) تاريخ الطبري جـ ١، ص ٢٩٦٧، تاريخ اليعقوبي جـ ٢، ص ٢٠٥. الكامل في التاريخ، لابن الأثير، طبع ليدن، جـ ٣، ص ٨٩.

(١٣٦) تاريخ الطبري، جـ ١، ص ٣٠١١، أسد الغابة، جـ ٣، ص ١٩٥.

(١٣٧) تاريخ الطبري، جـ ١، ص ٣٠١٧.

(١٣٨) الطبقات، لابن سعد، جـ ٣ ص ٩.

ويحتمل أن علاقة كعب الحسنة بمعاوية، هي التي جذبته إلى الديار الشامية، حتى يكون بمعيته، وكان قد اشترك مع معاوية في غزوة قبرص مع غيره من الصحابة، أبـي الـدرداء وأبـي ذر الغفـاري وعبـادة بـن الصامت(١٣٩) وشداد بن أوس والمقداد بن الأسود وجبير بن نفير(١٤٠)، وبسبب المودة التي كانـت بـين معاويـة وكعب، عرض على الأخير جملة أسئلة، كما يتضح ذلك فيما بعد، وكان معاوية قد أذن لكعب أن يقص القصـص في جامع حمص(١٤١)، فكان هو أول من قص القصص في الجوامع الإسلامية، وهي من عـادات اليهـود، **فـإن الأحبار يقصون على المجتمعين للتعبد والصلاة قصص أنبياء بني إسرائيل للعظة والاعتبار.**

ويظهر أن هذه العلاقات الحسنة بين كعب ومعاوية، أدت إلى ترويج النظرية بين بعـض الفـرق مـن الشيعة، بأن كعباً كان منحرفاً عن علي، وأنه قال عن كعب، أنه الكذاب(١٤٢).

مع أن هناك روايات أخرى مذكورة فيما بعد تدل على مكانة كعب الرفيعة بين فرق شيعية أخـرى، لأن الطوائف الشيعية على تشعبها، لم تكن متحدة في ميولها الدينية والاجتماعية وهكذا التقى كعب في الشام بصـديقه الحميم أبي الدرداء.

توفي كعب قبل مقتل عثمان بن عفان بسنة(١٤٣)، وكانت وفاة كعب في سنة ٣٢ أو ٣٤ للهجـرة بمدينـة حمص(١٤٤)، يرجح هذا الرأي مجير الدين الحنبلي، الذي يعين وفاته بحمص، فـي سـنة اثنتـين وثلاثـين مـن الهجرة(١٤٥)، على أن ياقوت الحموي وغيره يقولون إن كعباً دفن بدمشق بالقرب من قبر صديقه أبـي الـدرداء، ولهما في حمص مقام(١٤٦) ويرجح ابن بطوطة، أن كعباً مات سنة ٣٤ من الهجرة بدمشق، ودفن بها(١٤٧)، وكذلك يقول الهروي، إنّ كعباً توفي بدمشق ودفن بمقبرة الباب الصغير(١٤٨)، على أن المقريزي يـذكر أن قبـر كعـب الأحبار يوجد

(١٣٩) فتوح البلدان، للبلاذري، ص ١٥٤.

(١٤٠) كتاب الأموال، لأبي عبيد، ص ١٤٧.

(١٤١) الجامع في الحديث، لعبد الله بن وهب، ص ٨٤.

(١٤٢) تنقيح المقال، للمامقاني، جـ ٢، ص ٣٩، رقم ٩٩٨٢.

(١٤٣) حلية الأولياء، جـ ٦، ص ٤٥.

(١٤٤) تاريخ الطبري، جـ ٣، ص ٢٤٧٢، تذكرة الحفاظ، طبع حيدر آباد، جـ ١، ص ٤٩.

(١٤٥) الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، جـ ١، ص ٢٥٧، يؤيد خير الدين الزركلي وفاة كعب بحمص (كتاب الأعلام، قاموس تراجم)، طبع مصر، سنة ١٩٢٧، جـ ٣، ص ٨١٣.

(١٤٦) معجم البلدان، جـ ٢، ص ٣٣٦.

(١٤٧) رحلة ابن بطوطة، طبع دفريمرى (Defremery)، ص ٢٢٢.

(١٤٨) كاتب الأعلام، لأحمد المنيني، المطبعة العصرية، القدس، ص ١٢٦، بإشراف أحمد سامح الخالدي

بالجيزة من ديار مصر القاهرة[١٤٩] والغريب في الأمر أن الرحالة الأندلسي محمد أحمد بن جبير المتوفى سنة ٦١٤ للهجرة بالإسكندرية يؤكد وجود قبر كعب بالجيزة[١٥٠].

ويجب أن نلفت الأنظار إلى أن الطائفة الإسلامية تكونت في حمص، قبل أن تتكون في دمشق بدليل وجود قراءة قرآنية نشأت في حمص قبل أن تنشأ في دمشق[١٥١]، ويسرد ياقوت عدة روايات، تدل على أن كثيرين من الصحابة دفنوا في حمص[١٥٢] لذلك نميل إلى رواية الطبري، التي تقول بأن قبر كعب كان بمدينة حمص لا غير.

وفي وقتنا الحالي يوجد بمدينة القاهرة جامع كعب الأحبار به ثلاثة أضرحة، ينسب أحدهم لكعب، وهو من المقامات الموجودة بكثرة في مصر لتخليد ذكرى السلف الصالح، وتمكينها في قلوب الشعب الإسلامي بمصر، ويدل وجود مقام باسم كعب في مصر على انتشار اسمه بين جماهير المسلمين، فيرجع سبب ذلك إلى قصص الأنبياء، التي انتشرت انتشاراً واسعاً وذاعت شهرتها خلال عدة عصور بين الجماهير في مصر[١٥٣].

وينسب إلى كعب بعض روايات يذكر فيها، أن جبل المقطم مقدس، وأنه أوصى حين حضرته الوفاة أن يجعل في لحده تحت جسده تربة من سفح جبل

---

(١٤٩) خطط المقريزي، طبع مصر، سنة ١٣٢٤هـ. جـ ١، ص ٣٣٣.

(١٥٠) رحلة أبي الحسين، محمد أحمد بن جير، طبع ليدن، سنة ١٩٠٧، ص ٥٥، ويوجد هذا الخبر أيضاً في كتاب جغرافية مصر، تأليف محمد أمين فكري باشا، طبع مصر، سنة ١٢٩٦ هـ، ص ٩٣.

(١٥١) ج. برجشترسر: تاريخ قراءات القرآن، ميونيخ، ص ١٧٢.

G. Bergsträsser: Geschichte des Korantextes p. 172

(١٥٢) معجم البلدان، جـ ٢، ص ٣٣٦.

(١٥٣) ونذكر بهذه المناسبة أن هناك قصصاً كثيرة، عن يوسف الصديق، منتشرة في الديار المصرية تنسب إلى كعب، وإلى هذه القصص يرجع بعض الفضل فيما لسيرة حياة يوسف بمصر من المكانة الخاصة، ويتضح ذلك من وجود جامع يدرب الشعانين بالقاهرة يذكر الناس ويتحدثون بأن يوسف عليه السلام بيع في مكانه للمصريين. (ياقوت: معجم البلدان، جـ ٤، ص ٥٥٤). ويوجد أيضاً «سوق يوسف عليه السلام» بظاهر درب الصفا بالقاهرة (النجوم الزاهرة في تاريخ ملوك مصر والقاهرة، لتغرى بردى، جـ ٤، ص ٩١). وكذلك عرف الناس مكان سجن يوسف ببوصير من أعمال الجزيرة، حتى أجمع أهل المعرفة من المصريين على صحة هذا الزعم، وفي هذا المكان آثار تبين سجن يوسف وسطح السجن موضع معروف بإجابة الدعاء... وقال أبو محمد بن محمد بن السلامة الحاوي لو سافر الرجل من العراق ليصلي في سجن يوسف، وينظر إليه لما عنفته في سفره، (خطط المقريزي، جـ ١، ص ٣٣٥). وبقلعة القاهرة جب عميق يذكر العامة بمصر إلى الآن، انه بئر يوسف عليه السلام.

المقطم[١٥٤].

وضريح كعب الذي في القاهرة يوجد في دائرة عابدين[١٥٥] والدخول إليه من شارع الناصرية ويمكن الوصول إليه من ناحية حارة السايس.

ى ـ امرأة كعب الأحبار وأولاده

تسمّي كل المصادر والمراجع العربية زوج كعب، باسم امرأة كعب بصفة عامة، وقد جاءت إليه بولدين من زوج آخر قبله، إذ يذكر كل منهما باسم ابن امرأة كعب الأحبار[١٥٦]، ولكن بما أن كعب الأحبار كان يكنى بأبي اسحق فمن المحتمل أن يكون له ولد من صلبه يسمى اسحق من زوجته هذه، أو من زوجة أخرى لم تتحدث عنها المصادر، وقد ذكر المؤرخون ثلاثة أسماء لأبناء امرأة كعب، الأول تبيع[١٥٧] والثاني نوف[١٥٨] أما العلامة النووي فيذكر روايتيْن يقول في إحداهما نقلاً عن أبي دريد: إن نوفا كان ابن امرأة كعب، ويقول في الأخرى إن نوفا كان ابن أخي كعب[١٥٩] على أنه يؤثر الرواية الأولى على الثانية بقوله «والمشهور الأول» ويسمي ابن قتيبة الولد باسم يثيع[١٦٠] فيخيل للقارئ بادئ ذي بدء أنه اسم لولد ثالث ولكن بقليل من التأمل يمكننا أن ندرك أن هذا الاسم إنما هو تحريف للاسم الأول نشأ من الخطأ في قراءته، وقد وقع غير ابن قتيبة من العلماء في نفس هذه الغلطة فإننا نجد اسم الحرث بن تبيع الذي ورد صحيحاً في كتاب المشتبه[١٦١] ينقلب إلى الحرث بن يثيع في تاج العروس[١٦٢] وهي قراءة محرفة.

---

(١٥٤) ياقوت: معجم البلدان، جـ ٤، ص ٦٨.

(١٥٥) التوفيقية، لعلي باشا مبارك، جـ ٢، ص ٩٦.

(١٥٦) ابن سعد، جـ ٧، قسم ثان ص ١٦٠، تاريخ الطبري، جـ ١، ص ٤٢٤.

(١٥٧) طبقات ابن سعد، جـ ٧، قسم ثان ص ١٦٠، تاريخ الطبري، جـ ١، ص ١٦٣ وص ٧٨٦، فتوح البلدان، للبلاذري، ص ٢٣٦، الكامل، لابن الأثير، جـ ٤، ص ٢٤٦، كتاب المشتبه للذهبي ص ٦٩، كتاب طبقات علماء افريقية:
Classes des savants de l'Ifriquiya par Tamime et Hosni et Chénéb, Paris.

(١٥٨) طبقات ابن سعد، جـ ٧، قسم ثان ص ١٦٠، تاريخ الطبري، جـ ١، ص ٤١٨، وص ٤٢٤ وص ٥٠١، وجـ ٣، ص ٢٥٢٧، وص ٢٥٥٤، ابن قتيبة، كتاب المعارف، ص ٢١٩.

(١٥٩) محيي الدين النووي الشافعي: المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، طبع مصر سنة ١٢٨٣، جـ ٥، ص ١٣٥.

(١٦٠) كتاب المعارف، ص ٢١٩.

(١٦١) المشتبه، ص ٦٩.

(١٦٢) تاج العروس، جـ ٥، ص ٢٨٧.

فمن هنا يتبين أن امرأة كعب لم يكن لها غير ولديْن اثنين، هما تبيع ونوف، وهذان الاسمان من الأسماء التي كانت شائعة في اليمن قبل الإسلام أيضاً، فتبيع اسم لأحد ملوك اليمن في الجاهلية، وقد ورد هذا الاسم في كتابة منقوشة بالخط المسند(١٦٣) وكذلك ورد تبيع في المصادر العربية بين أسماء الأعلام اليمنية(١٦٤)، كما ورد في كتابات يمنية بالخط المسند أيضاً(١٦٥)، وكما ذكر في كتاب سرياني عن اليمن، وكذلك ورد الاسم نوف بين أسماء الأعلام اليمنية(١٦٦).

وكان نوف يكنى بالبكالي، نسبة إلى قبيلة في اليمن، عرفت بهذا الاسم(١٦٧) وكان والده فضالة(١٦٨) وقد تلقن تبيع ونوف علماً كثيراً من زوج أمهما، ثم نشرا روايات وقصصاً باسم كعب في مجالس عبد الله بن عباس(١٦٩)، وعبد الله بن عمرو بن العاص(١٧٠) وكان تبيع عالماً كبيراً(١٧١)، وقد اشترك مع جنادة بن أبي رمية سنة أربع وخمسين في غزوة أرواد، وهي جزيرة في البحر المتوسط(١٧٢)، وكذلك كان نوف عالماً واسعَ العلم وكان قاضياً وإماماً في مدينة دمشق(١٧٣)، وعاش زمناً في الكوفة، حيث كان يعظ الناس بالقصص والروايات(١٧٤) وكان من أصحاب

---

(١٦٣) Nielsen: Handbuch der altarabischen Altertumskunde.

(١٦٤) **تاج العروس، ج ٥، ص ٢٨٧، ابن هشام: سيرة رسول الله، ج ١، ص ١٢، ابن الحائك: صفة جزيرة العرب، ص ١٣٥.**

(١٦٥) Mordtmann und Müller: Sabäiseche Denkmäler, Wien, 188 p. 66f.

(١٦٦) **ورد اسم «نوف» في نقش يمني قديم موجود الآن في متحف جامعة فؤاد الأول بالقاهرة (راجع كتاب: نشر نقوش سامية قديمة من جنوب بلاد العرب وشرحها)، الدكتور يحيى نامي، ص ٤٢، طبع القاهرة، سنة ١٩٤٣.**

(١٦٧) **طبقات ابن سعد،، ج ٧، قسم ثان ص ١٦٠، تاريخ الطبري، ج ٣، ص ٢٥٢٧، وص ٢٥٥٤ تاج العروس، ج ٧، ص ٢٣٢.**

(١٦٨) **تاريخ الطبري، ج ٣، ص ٢٥٥٤.**

(١٦٩) **تاريخ الطبري، ج ١، ص ٤٢٢.**

(١٧٠) **تهذيب الأسماء، ج ١، ص ٥٠٨.**

(١٧١) **طبقات ابن سعد، ج ٧، قسم ثان ص ١٦٠.**

(١٧٢) **فتوح البلدان، للبلاذري ١ ص ٢٣٦، معجم البلدان، لياقوت، ج ١، ص ٢٢٤.**

(١٧٣) **المنهاج في شرح مسلم، للنووى، ج ٥، ص ١٣٥.**

(١٧٤) **صحيح البخاري، طبع بولاق، سنة ١٣١٤، ج ٦، ص ٩٠. (بالكوفة رجل قاص يقال له نوف).**

أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وخواصه[١٧٥] وقد نسبت إليه قصص كثيرة وروايات عديدة[١٧٦] وبعثت أم الدرداء إلى نوف البكالي وإلى رجل آخر كان يقص مثله فقالت لرسولها: قل لهما لتكن موعظتكما لأنفسكما[١٧٧] كان نوف[١٧٨] وتبيع يقصان القصص باسميهما كما كان تبيع يروي الروايات عن كعب[١٧٩] عن تبيع عن كعب قال: إن يعقوب عاش في أرض مصر ست عشر سنة فلما حضرته الوفاة قال ليوسف لا تدفني بمصر وإذا مت فاحملوني في مغارة جبل حبرون[١٨٠]

---

(١٧٥) ورد في كتاب تنقيح المقال، للمامقاني ما يأتي: نوف بن فضالة البكالي أبو يزيد وأبو عمرو وأبو رشيد من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، وله عنه رواية تتضمن مواعظ بليغة يظهر منها جلالته وقوة إيمانه، قال: أثبت أمير المؤمنين وهو في رحبة مسجد الكوفة فقلت: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، فقال: وعليك السلام يا نوف ورحمة الله وبركاته. فقلت: يا أمير المؤمنين عظني. فقال: يا نوف أحسن يحسن الله إليك. فقلت: زدني يا أمير المؤمنين. فقال: قل خيراً تذكر بخير. فقلت: زدني يا أمير المؤمنين، فقال: يا نوف اجتنب الغيبة فإنها أدام كلاب النار. ثم قال: كذب من زعم أنه ولد من حلال وهو يأكل لحوم الناس بالغيبة، وكذب من زعم أنه يعرف الله عز وجل وهو يجترئ على معاصي الله كل يوم وليلة، وكذب من زعم أنه ولد من حلال وهو يبغضني ويبغض الأئمة من ولدي. يا نوف اقبل وصيتي لا تكونن لا نقيباً ولا عريفاً ولا عشاراً ولا بريداً، يا نوف صل رحمك يزد الله في عمرك وحسن خلقك يخفف الله حسابك، يا نوف إنْ سرك أن تكون معي يوم القيامة فلا تكن للظالمين معيناً، يا نوف من أحبنا كان معنا، احفظ عني ما أقول لك تنل خير الدنيا والآخرة... ونسب نوف إلى بني بكال بطن من حمير (تنقيح المقال، جـ ٣ ص ٢٧٦ ــ ٢٧٧).

(١٧٦) تاريخ الطبري، جـ ١، ص ٣٨٢، وص ٤١٧، وص ٤٢٤، وص ٥٠١.

(١٧٧) الجامع في الحديث، لابن وهب، ص ٨٣، ويجدر بنا في هذه المناسبة أن نذكر أنه كان لأبي الدرداء زوجتان كنيت كل واحدة منهما بأم الدرداء وكان اسم الأولى حبرة وهي أم الدرداء الكبرى، وسميت الثانية هجينة وهي أم الدرداء الصغرى وقد ذاع للثانية شهرة واسعة في الأندية الدينية حتى اعتمد على أسانيدها البخاري ومسلم وغيرهما من أئمة الحديث ونعتقد أن أم الدرداء التي أرسلت إلى نوف البكالي كانت هجينة لأن حبرة توفيت في حياة زوجها الذي انتقل إلى دار الخلود في سنة ٣٢ للهجرة، أما هجينة فقد عمرت طويلاً، وتوفيت بعد حياة حافلة بأعمال دينية جليلة في سنة ٨١ للهجرة (راجع كتاب التهذيب، جـ ١٢، ص ٤٦٠ ــ ٤٦٦، وأسد الغابة جـ ٥، ص ٤٤٨، وص ٥٨٠، وتهذيب الأسماء، للنووي، ص ٣٥٩).

(١٧٨) كتاب فتوح مصر وأخبارها، تأليف أبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم القرشي المصري، طبع ليدن، سنة ١٩٢٠ بعناية العالم Charles Torrey ص ٢٦ وص ٤٣.

(١٧٩) كتاب فتوح مصر، لابن عبد الحكم، ص ٤٢، ٤٤، ١٢٥.

(١٨٠) كتاب فتوح مصر، لابن عبد الحكم، ص ١٨، وقابل ما ورد في هذا الموضوع، بما ورد في سفر التكوين، فصل ٤٩ آية ٢٩ ــ ٣٢.

من تبيع عن كعب قال: لما مات يوسف استعبد أهل مصر بني إسرائيل[١٨١].

ونود قبل أنْ نختم هذا الفصل أن نذكر رجلين كانا يمتان إلى كعب بصلة الرحم وهما عمه ذو الكـلاع وابن عم كعب، وإذا كان كعب من عنصر يهودي، فإن عمه أيضاً بلا شك يهودياً قبل اعتناقه الإسـلام، ونأسـف لعدم وصول أخبار عن هذيْن الرجليْن في المصادر الإسلامية، ويظهر أنهما لم يكونا من ذوي الحيثيات البـارزة، ولم يوجه إليهما اهتمام خاص. وذكر عم كعب، ذو الكلاع، بطريقة غير مباشرة مرتبطاً بحادثة لكعب فـي أثنـاء إلقائه القصص في الجامع بمدينة حمص[١٨٢]، وذكر ابن عم كعب في رواية عند الطبري[١٨٣] من هنا نسـتخلص أن كعباً لم يسلم وحده بل جاء إلى المدينة بعد أن التف حوله امرأته وأبناؤهما وعمه وابنه الـذين نزحـوا بعـد إسلامهم إلى الأمصار الإسلامية.

وهكذا ذاعت روايات كعب الأحبار في جميع الأصقاع الإسلامية بوساطة تبيع ونوف وذى الكـلاع[١٨٤] وابن عم كعب[١٨٥] وإليهم يرجع معظم الفضل في تمجيد اسم كعب ورفع شأنه في مختلف الطبقات.

• • •

(١٨١) كتاب فتوح مصر، لابن عبد الحكم، ص ١٩، قابل ما ورد في هذا الموضوع بما ورد في سفر الخروج، الفصل الأول، آية ٨ ــ ١٤.

(١٨٢) الجامع في الحديث، لابن وهب، ص ٨٤، الإصابة، جـ ٣، ص ٦٣٥.

(١٨٣) تاريخ الطبري، جـ ٣، ص ٢٤٧٤.

(١٨٤) الجامع في الحديث، لابن وهب، ص ٨٣.

(١٨٥) تاريخ الطبري، جـ ٣، ص ٢٤٧٤.

الباب الثّاني

مكانة كعب الأحبار في أدب الرواية الإسلامية

عقلية كعب الأحبار وأحاديثه التي نشرها بين المسلمين ــ كعب الأحبار وعبد الله ابن عباس ــ كعب الأحبار وأبو هريرة ــ كعب الأحبار وعبد الله بن عمرو بن العاص ــ نقصان تأثير كعب الأحبار في القرن الثاني للهجرة وتضاؤله ــ من هو المقصود بأبي الفداء؟ ــ كعب الأحبار في أدب الفقه ــ كعب الأحبار في الشعر العربي ــ المقياس الصالح للتوثق من روايات كعب الأحبار.

أ ــ عقلية كعب الأحبار وأحاديثه التي نشرها بين المسلمين

يُعد كعب الأحبار في نظرنا أعظم من اعتنق الإسلام شأناً في القرن الأول للهجرة من اليهود وأقواهم أثراً في المحيط الجديد الذي اختاره لنفسه ــ فقد كان عبد الله بن سلام ساذجاً وديعاً يؤثر الهدوء والسكينة، ولا يطمح أن يكون له أثر في الشؤون الخطيرة والأمور العظيمة، التي تقع من حوله، وكان وهب بن منبه عليماً بالديانات القديمة والحديثة واسع المعرفة بدقائقها، فدون كثيراً من الكتب وترك أثراً قوياً في رجال الدين، الذين عاشوا في القرن الثاني للهجرة بالأمصار الإسلامية، وكان عبد الله بن سبأ خطيباً مصقعاً ودساساً خطيراً يحكم تدبير المؤامرات، ويحذق في إشاعة الفتن، وكان عدواً لدوداً لعثمان وصديقاً مخلصاً لعلي، وكان يطمح أن يحظى بمنصب كبير في الحياة الدينية والدنياوية، كي يصل إلى ما تصبو إليه نفسه، وقد كانوا جميعاً من أصل يهودي يعلنون بعضهم يهوديته القديمة أو يسكت عن شعوره تجاهها، بينما هم لم يستطيعوا أن ينسلخوا تماماً من تراثهم الديني القديم، أو يتجردوا من طابعهم القومي الأصيل، أما كعب الأحبار فقد كان يهودياً من المهد إلى اللحد، فقد تشبع بالعقلية اليهودية، حتى برزت فيه هذه النحلة بروزاً لم ير مثله عند غيره من مسلمة اليهود، فقد كان بعد إسلامه كأنه لم يترك دين أجداده،

لأنّه كان ينظر إلى الإسلام بالعين اليهودية، ويحل جميع ما يعرض له من المشاكل الدينية الإسلامية بعد أن يغوص في الآداب اليهودية، وكان إسلامه لم يكن إلاّ تطوراً طبيعياً لحياته في بلاد العرب، أي في المجتمع العربي، الذي خضع للإسلام بعد أن ظل دهراً طويلاً خاضعاً لديانات أخرى. يدرس كعب القرآن ويقابل ما ورد فيه بآيات التوراة حيث يقول: فاتحة التوراة فاتحة الأنعام وخاتمة التوراة خاتمة سورة هود...[١] أو أن أول ما أنزل من التوراة عشر آيات وهي العشر التي نزلت في آخر الأنعام[٢] وسمع كعب رجلاً يقرأ: «قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم» فقال: والذي نفس كعب بيده، أنها لأول شيء نزلت في التوراة[٣].

وأهم دليل على أن كعباً لم يجد أي تناقض بين دينه وبين دين أجداده القديم أنه لم يرم اليهود بتهمة تزوير بعض آيات التوراة، كما فعل عبد الله بن سلام[٤] ومحمد بن كعب القرظي[٥] اللذان قررا أن اليهود حرّفوا بعض آيات التوراة لأغراض معينة، ولو صح أن كعباً رمى بمثل هذه التهمة لما أحجم أصحاب المصادر الإسلامية عن التنويه بذلك والإشارة الصريحة إليه، فعدم وجود شيء من هذا في المصادر العربية القديمة دليل ساطع على صحة ما ذهبنا إليه من رأي في كعب الأحبار.

ولم يخف كعب يهوديته، ولم يحمل عليه أحد بسبب ذلك بل كان في إسلامه يحمل أسفار التوراة، ويتلو ما ورد فيها وفي التلمود، أمام الجموع الحافلة في المساجد وفي مجلس الخليفة نفسه، فهو لذلك يعد شيخ علماء عصره الذين وجهوا العلوم الدينية الإسلامية إلى الوجهة المعروفة بالإسرائيليات، وكان مقصد الكثير من الصحابة يعرضون عليه أسئلتهم ومشاكلهم.

وكان كعب فطناً ذكياً، يدلك على ذلك ما رواه الطبري من أنه كان يتعلم سورة البقرة، وأن رجلاً من أصحاب النبي كان يعلمه إياها حتى انتهى إلى قوله «فإنْ زللتم من بعد ما جاءتكم البينات فاعلموا أن الله غفور رحيم»، فقال كعب ما أعرف هذا في شيء من كتب الله عز وجل أنْ ينهي عن الذنب ويعد عليه المغفرة، فأبى الرجل أن يرجع عن ذلك وأبي كعب أن يتابعه، حتى مرّ عليهما رجل من أصحاب النبي فقال له: هل تقرأ سورة البقرة، فقال: نعم، فقالا: «فإنْ زللتم من بعد ما جاءتكم البينات»، فقال الرجل «فاعلموا أنّ الله عزيز حكيم». فقال: نعم هكذا ينبغي أن يكون،[٦] وقد

---

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، للأصبهاني، جـ ٥، ص ٣٧٨.

(٢) حلية الأولياء، جـ ٦، ص ١٣.

(٣) حلية الأولياء، جـ ٥، ص ٣٨٣.

(٤) ابن هشام، جـ ١، ص ٣٥٣، مسند أحمد، جـ ٤، ص ٦.

(٥) تاريخ الطبري، جـ ١، ص ٢٦٦.

(٦) تاريخ الطبري، جـ ٣، ٢٤٧٤.

حفظ في المصادر القديمة تفسير لآيات شتى من القرآن الكريم، كانت متداولة على ألسنة الناس وهي إنْ لم تكن لكعب فهي بلا مراء من صنع الذين تأثروا بتعاليمه وطريقة بحثه في الشؤون الدينية عامة،[٧] وكذلك يروى أن عمر بن الخطاب أتاه كعب الحبر بسفر وقال له: هذه التوراة فاقرؤها فقال له عمر: إن كنت تعلم أنها التي أنزل الله عزّ وجلّ على موسى فاقرؤها آناء الليل والنهار[٨].

وكان كعب يشرح بعض الآيات القرآنية العويصة بقصص من التوراة وأسفار الكتاب المقدس وقصص التلمود وغيرها من الروايات القصصية المعروفة بالمدرشيم، حتى انتشرت رواياته بين الصحابة والتابعين، وأصبحت أساساً يشرح بمقتضاه بعض آيات القرآن، ويدرس به تاريخ بني إسرائيل، وقد كان الصحابي عبد الله بن عبد القيس ينصت إلى كعب الأحبار في الجامع، وبينهما سفر من أسفار التوراة. وكعب يقرأ فإذا أتى على الشيء يعجبه فسر له، فأتى على شيء كهيئة الراء أو الزاي فقال يا أبا عبد الله أتدري ما هذا، قال هذه الرشوة أجدها في كتاب الله تطمس البصر وتطبع على القلب[٩]. ولا شك أن هذا النص هو بعينه الذي ورد في التوراة وهو كما يأتي: «ولا تأخذ الرشوة لأنها تعمي المبصرين وتعوج كلام الأبرار»[١٠] أما ما جاء في هذه الرواية من ذكر حرف الراء أو الزاي ففيه إشارة صريحة إلى حرف الدال الذي في آخر كلمة رشوة بالعبرية שחד لأن الدال العبرية تشبه في الرسم الراء أو الزاي العربية، وقد أطلق كعب على عامر بن عبد الله لقب راهب الأمة[١١]، وقد أورد ابن سعد رواية عن كعب تدل على أنه كان ذا معرفة دقيقة وخبرة واسعة بأسفار الكتاب المقدس قال فيها: كان في بني إسرائيل ملك إذا ذكرناه ذكرنا عمر وإذا ذكرنا عمر ذكرناه، وكان إلى جنبه نبي يوحى إليه فأوحى الله إلى النبي «صلعم» أن يقول له أعهد عهدك وأكتب إلي وصيتك فإنك ميت إلى ثلاثة أيام فأخبره النبي بذلك، فلما كان في اليوم الثالث وقع بين الجدر وبين السرير ثم جأر إلى ربه فقال: اللهم إن كنت تعلم أني كنت أعدل في الحكم وإذا اختلفت الأمور اتبعت هواك وكنت وكنت فزدني في عمري حتى يكبر طفلي وتربو أمتي فأوحى الله إلى النبي أنه قد قال كذا وكذا، وقد صدق وقد زدته في عمره خمس عشرة سنة ففي ذلك يكبر طفله وتربو أمته، فلما طعن عمر قال كعب لئن سأل عمر ربه ليبقينه الله،

---

(٧) راجع تفسير آيات منسوبة لكعب في كتاب حلية الأولياء، ج ٥، ص ٣٦٩ ــ ٣٩١.

(٨) الملل والنحل، لابن حزم، نقلاً عن مقالة الأستاذ جولدتسيهر.

Goldziher Muhammedanishe Polemik gegen Ahl al Kitab in Z.D.M.G. Tome 32, p. 345.

(٩) ابن سعد، جـ ٧، قسم أول، ص ٧٩.

(١٠) سفر الخروج، فصل ٢٣ آية ٨.

(١١) كتاب طبقات ابن سعد، جـ ٧، قسم أول ص ٧٩. وقد ورد فيه ما يأتي: عن مالك بن دينار قال: لما رأى كعب، عامراً بالشام قال من هذا؟ قال: عامر بن عبد القيس العنبري البصري راهب هذه الأمة.

فأخبر بذلك عمر، فقال عمر: اللهم اقبضني إليك غير عاجز ولا ملوم..[١٢] وليس من شك أن هذه الرواية من غرر الروايات المنسوبة إلى كعب وهي ترجمة علمية دقيقة لما ورد في سفر الملوك الثاني في الفصل العشرين من الآية الأولى إلى الآية السابعة، ليس من حيث مضمون القصة فحسب بل أن أسلوبها يوافق النص العبري الأصلي أيضاً[١٣].

والطريقة التي يتبعها كعب حين يناقش الناس في آيات القرآن، هي نفسي الطريقة التي يتبعها أحبار التلمود. في كثير من الأحوال ويتضح ذلك، إذا أمعنا النظر فيما رواه مالك قال: رأى كعب رجلاً ينزع نعليه فقال لم خلعت نعليك؟ لعلك تأولت هذه الآية «اَخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوىً»[١٤]، ثم قال كعب للرجل أتدري مما كانت نعلا موسى، قال مالك، لا أدري ما أجابه الرجل، فقال كعب: كانتا من جلد حمار ميت[١٥] وقد أورد الطبري هذه الرواية بنصها[١٦] ولكن بإسناد غير إسناد مالك، مما يرجح أن المصدر الذي أخذ عنه كل منهما غير الذي أخذ منه الآخر، وهناك فرق آخر في الروايتيْن، يؤيد اختلاف المصدر، وهو أن كعباً في رواية مالك يوجه خطابه إلى شخص واحد، بينما هو في رواية الطبري يخاطب جماعة من الناس كانوا في المسجد، ثم إن مالكاً لا ينسب هذه الرواية إلا إلى كعب، بينما الطبري ينسبها إليه وإلى غيره من المحدثين مثل عكرمة وقتادة ووهب بن منبه.

وقد وردت هذه الرواية أيضاً في كتاب قصص الأنبياء للثعلبي، الذي كان يعيش في القرن الخامس للهجرة، ولكنها لم تنسب لكعب ولا لغيره، بل نسبت للرسول مباشرة.[١٧] ولنستدل برواية أخرى على طريقة النقاش التلمودي، التي تغلبت على كعب في محاوراته. قال كعب لأبي موسى الأشعري: أتدري كم عدد أهل الجنة؟ قال أبو موسى: لا. قال: أفتدري كم هم من صف؟ قال أبو موسى لا. قال: أفتدري ما بين كل صفين قال: لا. قال كعب: هم اثنا عشر صفاً، أمة محمد صلى الله عليه وسلم ثمانية صفوف ما بين كل صفيْن كما بين المشرق والمغرب[١٨].

---

(١٢) طبقات ابن سعد، ج ٣، قسم أول ص ٢٥٧.

(١٣) على أن في سفر الملوك نصاً واحداً لهذه الرواية فيه تحريف عن الأصل وهي الجملة «حتى يكبر ابني» فإننا نعلم أن الملك منسى بن حزقية المقصود في القصة المذكورة قد تولى الملك في عنفوان صباه بعد أن بلغ العام الثاني عشر من عمره.

(١٤) سورة طه رقم ١٢ آية ٢٠.

(١٥) موطأ مالك، ج ٣، ص ١٠٥، طبع الحلبي بمصر، سنة ١٣٤٣، وراجع سفر الخروج، فصل ٣ آية ١ ـــ ٦.

(١٦) تفسير الطبري، ج ١٦، ص ٩٥.

(١٧) قصص الأنبياء للثعلبي، طبع مصر، سنة ١٢٩٧ هـ، ص ١٧١.

(١٨) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ج ٦، ص ١٤.

وقد بحثنا في المصادر اليهودية ومراجعها علّنا نجد أصل هذه الرواية فلم نعثر لها على أثر، فيظهر أنها من القصص، التي كانت شائعة عند يهود بلاد العرب. تتردد على الألسن ويتلقاها فريق من أفواه فريق آخر دون أن يكون لها أصل مدون، وهذا هو السر في نسيانها، بعد أن تلاشت الطوائف اليهودية من أغلب بلاد العرب، والذي نعلمه من المصادر اليهودية هو أن موسى الكليم خلع نعليه تعظيماً لله، وكذلك نعلم أن سدنة الحرم المقدس بالقدس كانوا لا يدخلون الهيكل إلا وهم حفاة(١٩).

وقد أنصت الصحابة إلى كعب الأحبار بتسامح عجيب حينما ذكر التوراة وسماها بكتاب الله(٢٠) قال كعب: إن الله اختار من البلاد مكة(٢١) ثم يقول: كانت الكعبة غثاء على الأرض قبل خلق السموات والأرض بأربعين سنة(٢٢).

وقد أشاد كعب بفضل مكة والكعبة ومصر ودمشق وحمص وظفار اليمن وأجناد الشام وبيت جبرين بفلسطين، ولكنه بالغ في مدح بيت المقدس فنسب إليها من المآثر والمكارم ما لم يسمع بمثله لغيرها من البلاد على وجه المعمورة(٢٣).

ولا يفوتنا أن نشير، إلى أن غيره من المحدثين مدحوا أيضاً بيت المقدس وقد كان منهم محمد بن مسلم بن شهاب الزهري، المتوفى سنة ١٢٤ للهجرة، الذي كان من أكابر الحفظ والفقهاء، ومن أعلم الناس بالحديث، وفي الجملة يظهر أن هناك أحاديث كثيرة انتحلت في النصف الثاني من القرن الأول للهجرة، بين سنة ٦٤ وسنة ٧٣، أي في المدة التي كان فيها عبد الله بن الزبير خليفة في الديار الحجازية، إلى أن قتله الحجاج بن يوسف، عامل الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان، ففي الفترة التي حرم فيها أهل الشام من الحج إلى الروضة المطهرة، وإلى مكة المكرمة مست الحاجة القصوى إلى إيجاد أحادث وروايات تشيد بمناقب بيت المقدس وفضلها على غيرها من المدن، فانتشرت الروايات التي فيها المدح المبالغ فيه عن بيت المقدس، التي كانت القبلة الأولى للصلاة، وفي الترغيب في شد الرحال إلى مساجد ثلاثة،

---

(١٩) راجع ما ورد في كتاب مدراش رباه: سفر الخروج ٢، ٦ ما يأتي: كل مكان ظهرت السكينة فيه امتنع استعمال الحذاء، وكذلك كان الكهنة حفاةً في أثناء العبادة.

(٢٠) طبقات ابن سعد، جـ ٣، قسم ١، ص ٢٤٠، تاريخ الطبري، جـ ١، ص ٢٧٢٢.

(٢١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، جـ ٦، ص ١٥.

(٢٢) الجامع اللطيف في فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف، طبع القاهرة، سنة ١٩٢١، ص ١٨.

(٢٣) نود أن نشير إلى أن الهمداني صاحب جزيرة العرب كان مشهوراً بكتابة الإكاليل، الذي ضاع أغلب أجزائه، وأنقذ من براثن النسيان، الجزء الذي يتضمن بحوثاً نادرة المثال عن اليمن ومساندها ودفائنها وقصورها، وقد نسب الهمداني لكعب الأحبار بعض الروايات التاريخية المتصلة باليمن (راجع كتاب الإكليل تأليف أبي محمد الحسن الهمداني تصحيح الأب انستاس مارى الكرملى البغدادي، طبع بغداد، سنة ١٩٣١، ص ١٣٧ وص ١٥٥) وراجع فضائل المسجد الأقصى، في كتاب الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، ص ٢٠٠ ــ ٢١٥.

أحدها المسجد الأقصى ببيت المقدس وفي فضل الصلاة في المسجد الأقصى وفي فضل الإحرام في بيت المقــدس وفي فضل من أهل بعمرة من بيت المقدس وكيف أن الدجال لا يدخل بيت المقدس وفي فضل الأذان ببيت المقدس وبيت المقدس أرض المحشر والمنشر وفضل الصخرة وفضل الدفن فيها[٢٤] وقد بحث الأستاذ جولدتسيهر في هذه المشكلة الخطيرة التي كانت سبباً في انتحال كثير من الأحاديث ذات المغزى السياسي وأشار إلى أن الزهري كان ممن أجبروا على قبول روايات موضوعة عن فضل بيت المقدس ومناقبها وشد الرحال إليها وفضل الإحرام فيها وإدماجها بين الروايات الصحيحة التي كانوا ينشرونها بين الناس[٢٥] وكان كعب الأحبــار ممــن وضــعت هــذه الروايات باسمه ونسبت إليه ويرجع ذلك إلى شهرته بين الجماهير كما كان شأن بعض كبار الصحابة والتابعين.

ب ــ كعب الأحبار وعبد الله بن عباس

كان عبد الله بن عباس أكثر الصحابة تأثراً بتعاليم أهل الكتاب عامة، وبعلم كعب الأحبار خاصة، فقد ولد عبد الله بن عباس قبل الهجرة ببضع سنين لذلك يعتقد الطبري[٢٦] أن ابن عباس كان في سن التاسعة من عمــره حين وفاة الرسول، أما ابن حنبل[٢٧] وابن حجر[٢٨] فيعتقدان أنه حين ذاك لم يكن قد جاوز العاشرة من عمره على أن لابن حنبل رواية أخرى[٢٩] يذكر فيها أنه كان قد بلغ الخامسة عشرة، وعلى كل حال لم يكــن عبــد الله بــن عباس، قد جاوز السابعة عشرة من عمره، حين دخل كعب الأحبار المدينة.

ومن الممكن أن نعتقد، بأن أغلب ما وصل إلى عبد الله بن عباس من معارف ومعلومات إسرائيلية، إنما أخذه من مسلمة يهود المدينة، بصفة عامة ومن كعب الأحبار بصفة خاصة، ولكن لا ينبغي أن يغيب عن البال أن ابن عباس كان قد اتصل

---

(٢٤) مسند أحمد، جـ ٢، ص ١٧٦، جـ ٤، ص ٦٧، وص ٢٩٩، جـ ٥، ص ٤٣٤ ــ ٤٣٥، جـ ٦، ص ٤٦٣، سنن ابن ماجه، طبع التازي بمصر، سنة ١٣٩٤، جـ ١، ص ٤٢٨ ــ ٤٣٠، سنن النسائي، طبع مصطفى محمد بمصر، سنة ١٣٤٨، جـ ٢، ص ٣٣ ــ ٣٤.

(٢٥) Ignaz Goldziher: Muh. Studien II S. 35-37.

(٢٦) تاريخ الطبري، جـ ٣، ص ٢٣٣٦.

(٢٧) مسند أحمد، جـ ١، ص ٣٥٦ ــ ٣٥٧.

(٢٨) تهذيب ابن حجر، جـ ٥، ص ٢٧٨.

(٢٩) مسند أحمد، جـ ١، ص ٣٧٣، وراجع ما ورد في كتاب البداية والنهاية، لابن كثير، جـ ٨، ص ٢٩٥ ــ ٢٩٦.

بيهود العراق في أثناء ولايته القضاء بالبصرة بأمر من الخليفة علي بن أبي طالب[٣٠] وكذلك كان بعض اليهود والنصارى يزورونه في الطائف في أخريات أيامه، ليتبادلوا معه المناقشة في الشؤون الدينية[٣١] وكانت وفاة عبد الله بن عباس في سنة ٥٧ للهجرة.

وكان كعب الأحبار يطلق على ابن عباس اسم رباني[٣٢] وهو اللقب الذي أطلقه القرآن الكريم على أحبار اليهود[٣٣] إقراراً لليهود فيما ألفوه منذ القرن الأول ب. م. من إطلاقهم هذا اللقب على كل متعلم منهم كان يتمسك بمبادئ حزب الفروشيم[٣٤] وإطلاق كعب الأحبار، هذا اللقب على ابن عباس وحده دون غيره من الصحابة، فيه إشارة واضحة إلى أن ابن عباس، وهو شيخ المحدثين، قد فاز بأكبر قسط ونال أوفر نصيب من معارف الربانيين وعلوم الأحبار.

سأل ابن عباس كعب الأحبار عن قوله «يسبحون الليل والنهار ولا يفترون» ألا يسأمون، فقال: هل يؤدك طرفك؟ هل يؤدك نفسه؟ قال: لا، قال: فإنهم ألهموا التسبيح كما ألهمتهم الطرف والنفس[٣٥].

---

(٣٠) Lidzbarski: De propheticis, p. 41.

(٣١) تاريخ الطبري، جـ ١ ص ٤٢٤، طبقات ابن سعد، جـ ٢، قسم ثان، ص ١٢٣.

(٣٢) ورد في كتاب الطبقات لابن سعد، (جـ ٢ قسم ثان ص ١٢٣): قال كعب الأحبار لعكرمة مولاك رباني هذه الأمة هو أعلم من مات ومن عاش.. لما دفن ابن عباس قال ابن الحنفية اليوم مات رباني هذه الأمة (طبقات ابن سعد، جـ ٢، قسم ثان، ص ١٢١)، وراجع ما ذكر عن كلمة «ربان» في الإسلام عند المستشرقين:

A. Geiger: Was hat Muhammad aus dem Judentum aufgenommen p. 51. J. Horovitz: Koranische Untersuchungen p. 64. G. Dalman: Grammatik des Jüdisch—Palästinischen Aramäisch. p. 176. Anm 1.

(٣٣) «أنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون، الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله»... (سورة المائدة ٤٣).

«لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم.»... (سورة المائدة آية ٦٣).

(٣٤) Brüll: Einleitung in die Mishnah p. 51., Zunz: Gottesdienstliche Vortäge I p. 38. Lidzbarski: De Propheticis p. 36.

وراجع لمؤلف هذا الكتاب: تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، ص ٢٠ ــ ٢١.

(٣٥) تفسير الطبري، جـ ١٧، ص ٩، قابل بين هذه الرواية وبين ما ورد في كتاب: مدراش رباه: سفر التكوين ٧٨: إن جماعة من الملائكة ملهمة في التسبيح والفناء إمام الله نهاراً وليلاً.

وجاء ابن عباس إلى كعب الأحبار فقال له حدثني عن قول الله «عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى»[36] فقال إنها سدرة في أصل العرش، إليها ينتهي علم كل عالم، ملك مقرب، أو نبي مرسل، ما خلفها غيب لا يعلمه إلا الله.

وهناك رواية أخرى ورد فيها أن ابن عباس سأل كعباً عن سدرة المنتهى فقال كعب: إنها سدرة على رؤوس حملة العرش وإليها ينتهي علم الخلائق، ثم ليس لأحد وراءها علم، ولذلك سميت سدرة المنتهى، لانتهاء العلم إليها.

وكذلك سأل ابن عباس كعباً عن «أم الكتاب» قال: علم الله ما هو خلق وما خلقه عاملون فقال بعلمه: كن كتاباً فكان[38]، وهذا الذي قاله كعب عن معنى «أم الكتاب» هو بعينه المذكور في المصادر اليهودية عن «أم التوراة» إذا صح هذا التعبير[39].

وكذلك سئل كعب عن قراءة كلمة «حمئة» التي وردت في سورة الكهف (آية ٨٦) في قوله تعالى: «حتى إذا بلغ مغرب الشمس، وجدها تغرب في عين حمئة» لأن ابن عباس وعمرو بن العاص اختلفا في قراءتها فقرأها الأول: حمئة، وقرأها الثاني حامئة، وارتفعا إلى كعب الأحبار يسألانه في ذلك، فرجح قراءة ابن عباس، وقال إن العين الحمئة هي الثاط أو الطين السوداء[40].

على أن لابن هشام وللطبري نفسه رواية أخرى، يذكر فيها أن الاختلاف في ذلك لم يكن بين ابن عباس وعمرو بن العاص، بل بين الأول ومعاوية[41].

وبهذه المناسبة نذكر، أن أبا بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي

---

(٣٦) سورة النجم، آية ١٣ ــ ١٦.

(٣٧) تفسير الطبري، جـ ٢٧، ص ٢٨.

(٣٨) تفسير الطبري، جـ ١٣، ص ١٠٠، وجـ ١٧، ص ١٢٦، وراجع ما ورد عن «أم الكتاب» في سورة آل عمران، آية ٦، وسورة الرعد، آية ٣٨، في تفسير الطبري، جـ ٣، ص ١٠٥ وص ١١٥، وجـ ١٣، من ص ٩٧ ــ ١٠٢.

(٣٩) مدراش رباه: ١ ــ ٥:

خلق البارئ ستة أشياء قبل خلقه الكون، فبعضها خلقت قبل الكون خلقاً فعلياً، مثل التوراة والعرش، ومنها ما لم يخلق قبل الكون، ولكن الخالق فكر في خلقها قبل خلق الكون. كان الله يبصر في التوراة ويخلق الكون.

(٤٠) صحيح الترمذي، طبع التازى بمصر، سنة ١٣٥٣، جـ ١١، ص ١٥ ــ ٥٦، وتفسير الطبري، جـ ١٦، ص ٩.

(٤١) كتاب التيجان، لابن هشام، طبع حيدر آباد، ص ١١١، وتفسير الطبري، جـ ١٦، ص ٨.

الأندلسي الأشبيلي، المتوفى سنة ٥٤٦ للهجرة، في شرحه لصحيح الترمذي، لم يرق له أن يكون كعب الأحبار قاضياً يفصل بين اثنين من الصحابة فقال: ... ولأمية بن أبي الصلت شعر لا يقبل منه قوله ولا من كعب، لأن كلامه منقول من التوراة المبدلة، ولا يحتاج إليه ولا يعول عليه ولا يصح أن يلتفت إليه[٤٢].

وقد ذكر صاحب الجامع في الحديث عن عبد الله بن عباس عن يزيد بن قوس عن كعب أنه قال: رب قائم مشكور له، ورب نائم مغفور له، وذلك أن الرجلين يتحابا في الله، فقام أحدهما يصلي فرضي الله صلاته ودعاءه، فلم يرد عليه من دعائه شيئاً، فذكر أخاه في دعائه من الليل، فقال: يا رب أخي فلان اغفر له فغفر له وهو نائم[٤٣].

ويعتقد الأستاذ كايتاني Caetani، أن ابن عباس كان كثير الاتصال بالمصادر اليهودية، وقليل الاتصال بالمصادر المسيحية، وأنه لم يكن له صلة ما بالفرس، ولا بمصادرهم، وأنه قد عرف كيف يصبغ كل ما وصل إليه من المصادر اليهودية بالصبغة الإسلامية، وهو في تفسيره القرآن يسلك نفس الطريقة المتبعة في قصة التلمود والرواية اليهودية في شرحها لآيات التوراة[٤٤].

وقد صرح العالم لوث (Loth)، بأن ابن عباس قد أنشأ مدرسة يهودية في الرواية الإسلامية وفي تفسير القرآن[٤٥].

ويشك العالم شوللي (Schwally)، في صحة اتصال ابن عباس المباشر بكعب الأحبار،[٤٦] أما نحن فلا نشك في ذلك مطلقاً، لأن المصادر الإسلامية التي تذكر، أن ابن عباس كان يوجه الأسئلة إلى كعب، يمكن الاعتماد عليها والوثوق بها، ولنذهب بعين الخيال إلى المدينة المنورة، إبان خلافة عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان، وهي تلك الفترة التي كان فيها ابن عباس يعيش في المدينة، ويعلم أن كعب الأحبار، الذي ذاع صيته وانتشرت سمعته في مجالس الخليفة وفي اجتماعات الصحابة، فكيف نتصور، أن ابن عباس، الذي كان منذ شبابه يميل إلى البحث والتنقيب، ويحرص على التعمق في شرح آيات القرآن الكريم، ويستعين في ذلك بكل من له دراية أو لديه رواية، وبكل من كان ذا عقل وعلم من الصحابة والتابعين،

---

(٤٢) صحيح الترمذي، طبع التازى، جـ ١١، ص ٥٦.

(٤٣) الجامع في الحديث، لابن وهب، ص ٢٢.

(٤٤) Caetani: Annali dell'Islam Introd. p. 48-49.

(٤٥) Morgenländische Forschungen. Fleischer-Festschrift S. 298.

(٤٦) Noeldeke Schwally: Geschichte de Qorans II. p. 165.

وممن اعتنق الإسلام قديماً ومن دخل فيه حديثاً، ثم يهمل كعب الأحبار، الذي كان يمتاز بشيء يميـل إليـه ابـن عباس بفطرته، وهو الموعظة بالقصة في القرآن، فهو محتاج بلا شك إلى كعب العالم الواقف على قصص أنبياء بني إسرائيل، الواردة في التوراة وفي بقية الكتب المقدسة عند اليهود ليشرح له ما غمض عليه أمره منها.

والذي يلوح لنا، أن ابن عباس لم يعرف كعباً معرفةً عادية فحسب، بل إنه كان يلازمه طويلاً. ويصغي إليه بعناية، ويرتشف من علمه بشوق، فكثرت معارفه وزودت معلوماته وقويت مداركه فانكشفت له أمور كثيـرة كانت خافية على غيره من معاصريه[٤٧].

ونرجح أن ذلك الاتصال المباشر المبارك، بين الشيخ كعب حديث العهد بالإسلام، وبين ابن عباس الشاب المسلم من مهده، قد أنتج تلك العبقرية الفذة التي كانت سبباً في تخليد اسم ابن عباس في كتب السنة الإسلامية وفي تفسير القرآن.

جـ ــ كعب الأحبار وأبو هريرة

يعد أبو هريرة ثاني المحدثين، الذين رووا عن الرسول، بل لم ينسب لغيره من الصحابة مثل ما نسـب إليه من رواية الأحاديث، حتى أن ما جاء من الأحاديث في مسند أحمد بن حنبل مروياً عنه، لا يقل عدد صفحاته عن ٣١٤ صفحة، في حين أن ما جاء في المسند نفسه مروياً عن ابن عباس لم يتجاوز ١٦٠ صـفحة[٤٨] ومـن المعلوم أن أبا هريرة قد بلغ ما رواه من الأحاديث مبلغاً عظيماً لفت أنظار كثيرين من الصحابة[٤٩].

---

(٤٧) راجع النصوص التي ذكر فيها أن ابن عباس وجه أسئلة إلى كعب الأحبار، أو التقى به وتحدث إليه: طبقات ابن سعد، قسم أول ص، ٨٧، تاريخ الطبري، جـ ١، ص ٧٤، تفسير الطبري جـ ١٦، ص ٨، جـ ١٧، ص ٩ وص ١٢٦، جـ ٢٧، ص ٢٨، وجامع الترمذي، طبع الهند، سنة ١٢٩٣، ص ٤٧٧، حلية الأولياء، جـ ٥ ص ٣٨١ وص ٣٨٢.

(٤٨) مسند أحمد بن حنبل، جـ ٢، ص ٢٢٨ ــ ٤٢٥، وجـ ١، ص ٢١٤ ــ ٣٧٤.

(٤٩) عن أبي هريرة يقول ما للمهاجرين والأنصار لا يحدثون عن رسول الله «صلعم» هذه الأحاديث الخ... عن أبي هريرة، أنه كان يقول: لو حدثتكم بكل ما في جوفي لرميتموني بالبعر.. عن أبي هريرة لو أنباتكم ما أعلم لرماني الناس بالخزف وقالوا أبو هريرة مجنون.. عن أبي هريرة: يقولون أكثرت يا أبا هريرة والذي نفسي بيده لو حدثتكم بكل شيء سمعته من رسول الله لرميتموني بالقشع، يعني المزابل ثم ما ناظرتموني (طبقات ابن سعد، جـ ٤، قسم ثان، ص ٥٧.) وقد ذكر ابن كثير أن عمر بن الخطاب قال لأبي هريرة: لتتركن الحديث عن رسول الله، أو لألحقنك بأرض دوس (البداية والنهاية، جـ ٨، ص ١٠٦) وكذلك روى أن عائشة تأولت

وقد كان أبو هريرة يرجع في المسائل الإسرائيلية إلى كعب الأحبار، كما صرح هو نفسه بذلك، إذ قال: خرجت إلى الطور، فلقيت كعب الأحبار، فجلست معه فحدثني عن التوراة، وحدثته عن رسول الله «صلعم»، فكان فيما حدثته أن قلت: قال رسول الله «صلعم» خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة، فيه خلق آدم وفيه أهبط من الجنة وفيه تيب عليه وفيه مات وفيه تقوم الساعة(٥٠) ومن من دابة إلاّ وهي مصيخة يوم الجمعة، من حين تصبح حتى تطلع الشمس شفقاً من الساعة، إلاَّ الجن والأنس، وفيه ساعة لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلي يسأل الله شيئاً إلاَّ أعطاه إياه، قال كعب: ذلك في كل سنة يوم(٥١) فقلت: بل في كل جمعة، فقرأ كعب التوراة فقال صدق رســول الله «صلعم».. ثم لقيت عبد الله بن سلام، فحدثته بمجلسي مع كعب الأحبار، وما حدثته به في يوم الجمعة فقلــت: قال كعب ذلك في كل سنة يوم قال عبد الله بن سلام كذب كعب فقلت: ثم قرأ كعب التوراة فقال بل هي في كــل جمعة فقال: عبد الله بن سلام صدق كعب(٥٢).

وهناك رواية أخرى تُنسب إلى أبي هريرة، تذكر أنه لم يسمع من الرسول شيئاً عن فضائل يوم الجمعة، بل إن كل ما سمعه في ذلك، إنما هو من عبد الله بن سلام(٥٣) وكان هو الذي تحدث مع الرسول عن فضل يــوم الجمعة للمؤمنين(٥٤)

أحاديث كثيرة من أبي هريرة ووهمته في بعضها وقد عابت عليه سرد الحديث، أي الإكثار من الساعة الواحدة، (البداية والنهاية، جـ ٨، ص ١٠٧).

وكذلك راجع ما ذكره المستشرقون في هذه المسألة عن أبي هريرة:

Sprenger: Das Leben Muhammeds Bd I p. XXXIII. Goldziher Muh. Studien II. P. 49 anm. 4 Caetani: Annali dell'Islam p. 51-53.

(٥٠) وردت هذه النظرية في المصادر اليهودية سنهدرين ص ٣٨ ب وفي مصادر مسيحية (راجع:

Schatzhöhle, ed. Bezold. Leipzig 1883 Übersetzung, p. 62.

وقابل في هذه المسألة ما كتبه الأستاذ Lidzbarski **في رسالته:** Propheticis p. 38 anm. 6.

ويلاحظ في هذه المناسبة أنّ الطبري في تاريخه يقص هذه الرواية باسم كعب إذ قال: ...عن أبي سلمة أنه سمع أبا هريرة يحدث أنه سمع كعباً يقول: خير يوم طلعت فيه الشمس الخ (جـ ١، ص ١١٤).

(٥١) يشير كعب إلى صوم عاشوراء، المعروف بيوم الغفران، الذي فيه يصلي اليهود في المعابد طول النهار.

(٥٢) كتاب الموطأ، طبع الحلبي، بمصر، سنة ١٣٤٣، جـ ١، ص ١٣١ ــ ١٣٢، سنن النسائي، جـ ٣، ص ١١٤، مسند أحمد، جـ ٥، ص ٤٥٣.

(٥٣) مسند أحمد، جـ ٥، ص ٤٥٠.

(٥٤) مسند أحمد، جـ ٥، ص ٤٥١.

على أن مسلماً في صحيحه، لم ينسب شيئاً مما رواه في باب مناقب يوم الجمعة إلى كعب أو إلـــى عبــد الله بـــن سلام، ولم يذكرها مطلقاً في هذا الباب وكل ما رواه عن ذلك نسبه مباشرة إلى الرسول[٥٥]، وهذه إحدى الظواهر الخطيرة التي تعرض للباحث في تطور أسانيد الرواية الإسلامية، وهي ظاهرة تلقي شعاعاً من النور، على مصدر كثير من الروايات كانت في بدء الأمر منسوبة إلى أحد الصحابة أو التابعين، ثم حدث أن انتحلت في زمن متأخر ونسبت إلى الرسول مباشرة.

وتبدو هذه الظاهرة ساطعة لامعة، حينما نجد في المصادر القديمة روايات وجه فيها أبو هريرة الســؤال إلى كعب الأحبار، أو إلى عبد الله بن سلام، ثم نرى هذه الروايات نفسها، قد نسبت في المصادر المتــأخرة إلـــى الرسول مباشرة، فلا نشك أن أصحاب هذه المصادر وهم بعض جامعي الروايات في القرن الثالث للهجــرة، لـــم يرق في نظرهم لأمر من الأمور أن يقبلوا رأياً من مصدر يهودي، أو ممن اعتنق الإسلام حديثاً، فآثروا أن تروى الرواية المنسوبة للرسول مباشرة.

ويحدثنا صاحب الموطأ بما يأتي: قال عبد الله بن سلام إلى أبي هريرة إن خير ساعة للصلاة تكون آخر ساعة في يوم الجمعة، فقال له أبو هريرة كيف تكون آخر ساعة في يوم الجمعة وتلك الساعة ســاعة لا يصــلى فيها، فقال عبد الله بن سلام ألم يقل الرسول «صلعم» من جلس مجلساً ينتظر الصلاة فهــو فـــي صـــلاة حتـــى يصلي[٥٦].

ويجدر بنا في هذا المقام أن نشير، إلى أن رواية شبيهة بها مذكورة في كتاب الجامع لابن وهب، وهـــي عبارة عن محادثة بين عبد الله بن سلام وبين كعب، وليس لها صلة بأبي هريرة[٥٧] ثم إننا عثرنا على هذه الرواية في كتاب متأخر منسوب لكعب لا لعبد الله بن سلام[٥٨].

وليس من شك، أن عبد الله بن سلام عرف كعباً إذ عرض عليه في أثناء اجتماع

(٥٥) صحيح مسلم، جـ ٣، ص ٢٨٨، أما صاحب حلية الأولياء فينسب روايات في مناقب يوم الجمعة إلى كعب، (حلية الأولياء، جـ ٥، ص ٣٨٢).

(٥٦) الموطأ، جـ ١، ص ٥٩، النسائي، جـ ٣، ص ١١٥.

(٥٧) الجامع في الحديث، لابن وهب، ص ٣٧، ورد في هذا الكتاب ما يأتي: حدث عمرو بن الحرث، أن عبد الله بن سلام وكعب التقيا فقال أحدهما: إني لأعرف ليلة في السنة ينزل الله فيها إلى سماء الدنيا، فيقول: اليوم أعفو للمؤمنين وأملي للكافرين وادع أهل الحق حتى ينحل حقدهم وقال الآخر: بل هي كل ليلة.

(٥٨) قوت القلوب، لأبي طالب المكي، طبع مصر، سنة ١٣١٠، جـ ١، ص ٦٦، قابل بين هذه الرواية وما يقابلها في الآداب اليهودية (راجع المشنا، كتاب المشنا براخوت فصل ٥، ١ والتلمود براخوت ص ٣٢ ب).

بينهما، عند الخليفة عمر بن الخطاب السؤال الآتي: يا كعب من العلماء؟ قال: الذين يعلمون بالعلم. قال: فما يذهب العلم من قلوب العلماء؟ قال: الطمع وشره النفس وتطلب الحاجات إلى الناس، قال صدقت(٥٩).

ونود أن نشير، إلى أن أبا هريرة كان على كثرة إنتاجه في الحديث يتورط في بعض الأحوال، ويخلـط بين حديث الرسول ورواية كعب الأحبار، كما يتضح لنا من الرواية المنسوبة لمسلم بن الحجاج: قال لنا بشر بـن سعيد: كنا نجالس أبا هريرة فيحدث عن رسول الله، ويحدثنا عن كعب الأحبار، ثم يقوم، فاسمع بعض ما كان معنا يجعل حديث رسول الله عن كعب، وحديث كعب عن رسول الله، وفي رواية يجعل ما قاله كعب عن رسـول الله، وما قاله رسول الله عن كعب، فاتقوا الله وتحفظوا في الحديث. وقال يزيد بن هرون، سمعت شـعبة يقـول: أبـو هريرة كان يدلس ــ أي يروى ما سمعه من كعب وما سمعه من رسول الله «صلعم» ولا يميز هذا من هذا(٦٠).

د ــ كعب الأحبار في قصص الأنبياء للثعلبي

وهناك صحابي آخر كان على اتصال وثيق بكعب الأحبار، ذلك هو عبد الله بن عمرو بن العاص، وقـد ورد عن علاقته بكعب، في كتابه الجامع لابن وهب ما يأتي: «حدث أوس أن عبد الله بن عمرو بن العاص التقى بكعب فقال له: يا كعب علمني النجوم فقال كعب: لا خير فيه. قال عبد الله: لم؟ قال: لأن فيه مـا تكـره، يريـد الطيرة. قال كعب: فإن مضى وقال اللهم أنه لا طير إلاّ طيرك ولا خير إلاّ خيرك ولا رب غيرك. قال ثم سكت، فقال عبد الله بن عمرو: ولا حول ولا قوة إلاّ بك. قال كعب: جاء بها عبد الله، والذي نفسي بيده أنها لرأس التوكل وكنز العبد في الجنة ولا يقولها عند ذلك ثم يمضي إلا لم يضره شيء. قال عبد الله: أفرأيت إن لم يمض وقعـد. قال: طعم قلبه طعم الإشراك»(٦١).

ومضمون هذه الرواية مذكور في مكان آخر من الكتاب نفسه على المنوال الآتي: «سأل كعب الأحبـار عبد الله بن عمرو فقال: هل تطير. فقال: نعم. قال: كيف تقول إذا تطيرت. قال أقول اللهم لا طير إلاّ طيرك ولا خير إلاّ خيرك ولا رب غيرك ولا قوة إلاّ بك. فقال كعب: أنت أفقه العرب وأنها كذلك في التوراة...(٦٢)

(٥٩) الإصابة، لابن حجر، جـ ٣، ص ٦٣٨.
(٦٠) ابن كثير: البداية والنهاية، جـ ٨، ص ١٠٩.
(٦١) الجامع في الحديث، لابن وهب، ص ١٠٧.
(٦٢) الجامع في الحديث، لابن وهب، ص ١٠٨.

ووردت هذه الرواية عند ابن سعد أيضاً»[٦٣].

ولابن وهب روايتـــان منسوبتان لكعب الأحبار ورد في الـــواحدة ما يأتي: «حدث كعب عبـــد الله بـــن عمرو بن العاص وقال إنه يدعو يوم القيامة فيقول أين المتحابون لجلالي فيؤتى بهم ثم يقول ادعوا إلى جيرانـــي فيقولون ربنا ومن جيرانك؟ فيقول عمّار مساجدي، فيجعلون على كراسي تحت العرش ويعتقون النار»[٦٤].

وقد ورد في الثانية: «قال كعب: إن المتحابين في الله على عمد من ياقوت أحمـــر علـــى رأس العمـــود مشرفين على أهل الجنة مكتوب في جباههم، هؤلاء المتحابون في الله إذا طلع أحدهم ملاء حسنه أهل الجنة، كمـــا تملا الشمس أهل الأرض، يقول أهل الجنة: هذا رجل من المتحابين في الله اطلع ينظرون إلى وجهه مثل القمـــر ليلة البدر[٦٥].

ولو صحت هذه الروايات لأمكن الاستدلال منها على مبلغ عواطف كعب الصوفية فهـــي تـــدل دلالـــة واضحة على أنه كان راسخ الإيمان بالله شديد الإخلاص لعقيدته كما هو شأن المؤمنين المتفانين في كل ملة وكل دين.

هـ ــ رأي كعب الأحبار في أمر عقوق الوالدين

سئل كعب عن عقوق الوالدين فقال: إذا أمرك أبواك فلم تطعهما فقد عققتهما وإذا دعوا عليك فقد عققتهما العقوق كلها[٦٦].

وتحدثنا رواية أخرى باسم سعيد المقبرى أنه سمع السلولي يحدث نوفل بن مســـاحق أنـــه ســـأل كعـــب الأحبار: ما تجدون في كتاب الله من عقوق الوالد فقال: إذا أقسم عليه فلم يلوه وسأله فلم يعطه وأتمنه فلـــم يـــؤده عليه واشتكى إلى الله ما

(٦٣) طبقات ابن سعد، جـ ٤، قسم ثان، ص ١٣.

(٦٤) الجامع في الحديث، لابن وهب، ص ٢٩.

(٦٥) الجامع في الحديث، لابن وهب، ص ٢٢، حلية الأولياء، جـ ٥، ص ٣٨٠.

(٦٦) الجامع في الحديث، لابن وهب، ص ١٥.

يلقى منه فذلك العقوق كله[٦٧].

وفي رواية أخرى يقول كعب: والذي نفسي بيده أن الله ليعجل خير العبد، وإذا كان عاقاً لوالديه ليعجل له العذاب، وأن الله ليزيد في عمر العبد إذا كان باراً بوالديه ليزداد براً وخيراً. وقال كعب: أجد في كتاب الله أنه إذا دعاه فلم يجبه فقد عقه، وإذا ألجأه إلى أين يدعو عليه ويبكي إلى الله منه فيما يليه ويليه فقد عقه كل العقوق، وإذا ائتمنه فخانه فقد عقه، وإذا سأله مما يقدر عليه فمنعه فقد عقه[٦٨].

وتعد الروايات المذكورة من أقدم ما نسب إلى كعب في أقدم المصنفات في الحديث ولو صحت لكان لنا فيها خير دليل على كيفية تعريفه النظريات الأخلاقية المستمدة من «كتاب الله».

ونحن نعتقد أن المقصود من السؤال الموجه إلى كعب: كيف تجدون في «كتاب الله»؟ هو الاستفهام عما ورد في هذه المعضلة في كتاب التوراة إذ كان الصحابة والتابعون في غير حاجة أن يتلمسوا عن رأي كعب في عقوق الوالدين من القرآن الكريم.

و ـ نقصان تأثير كعب الأحبار في القرن الثاني للهجرة وتضاؤله

إن كثرة الروايات المنسوبة لكعب الأحبار في المصادر القديمة، تدل على ما كان له من المكانة في نفوس الصحابة والتابعين في أثناء النصف الأول من القرن الأول للهجرة، ولسنا في حاجة إلى القول بأن كل ما ورد عن كعب في تلك المصادر صحيح لا شك فيه، ولكن الذي يمكننا أن نستخلصه هو أن كعب الأحبار كان من الأفراد البارزين الذين كان يعول عليهم في أدب الإسرائيليات وفي كل ما له مساس بالمصادر اليهودية في بيئة الصحابة والتابعين.

ولكن مع ضعف العناية في القرن الثاني للهجرة بقصص الأنبياء في رواية الحديث، وقلة الاهتمام بالمراجع والمصادر، التي استقى منها كثيرون من الصحابة والتابعين معلوماتهم، تغافل العلماء عن ذكر أسماء الكثيرين، لا سيما ممن كانوا قنطرة الصلة بين الإسلام وحضارات الأمم الأخرى فأهمل اسم كعب إهمالاً فاحشاً.

---

(٦٧) الجامع في الحديث، لابن وهب، ص ١١، حلية الأولياء، ج ٦، ص ١٤.

(٦٨) الجامع في الحديث لابن وهب ص ١٨، حلية الأولياء ج ٦، ص ٢٢.

ونود أن نشير إلى أن الأصبهاني صاحب الحلية ينقل روايات كثيرة باسم ابن وهب وهي غير موجودة في الجامع في الحديث يدل ذلك على أن مؤلفاته الأخرى لم يحجم ابن وهب من جمع روايات كعب الأحبار.

ز ــ من هو المقصود بأبي الفداء؟

وأقوى دليل على أن الرأي العام في القرن الثاني للهجرة أخذ يرغب عن كعب ويهمل شأنه عن قصـــد، هو الخلاف الذي نشأ بين العلماء المسلمين في مسألة الذبيح: هل كان المفدى إسحق أم إسماعيل[٦٩] فـــإذا نحـــن تتبعنا الأحاديث النبوية في أقدم مصادرها، اتضح لنا أن الرأي السائد في الأندية الإســـلامية مـــدى القـــرن الأول للهجرة كان الاعتقاد فيه بأن الذي أمر الله بذبحه إنما هو اسحق كما هو معروف من التوراة[٧٠] ويظهر أنـــه لـــم يطرأ تغيير على هذا الرأي في أكثر سني القرن الأول بدليل أن الأسقف يوحنان الدمشقي أشار في رسالته التـــي نشرها في أواخر القرن الأول للهجرة يناقش فيها المسلمين في قداسة الحجر الأسود بمكة المكرمة، إلى أن الذبيح هو اسحق، وقد جاءت إشارته إلى ذلك بعبارة يفهم منها أن هذا أمر متفق عليه بين الفريقين، ولـــو كـــان هنـــاك خلاف بين المسلمين والأسقف في هذا الأمر لما سكت عنه وكان يتعرض له ليظهر مبلغ الاختلاف بـــين العقيـــدة الإسلامية وغيرها من عقائد أهل الكتاب[٧١].

ولكن حدث في أوائل القرن الثاني للهجرة في عهد الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز، الذي حكم مـــن صفر سنة ٩٩ إلى رجب سنة ١٠١ للهجرة، أن رجلاً كان يهودياً وأسلم فحسن إسلامه صرح برأي جديد لم يكن أحد من المسلمين يقول به قبل ذلك، وهو أن إسماعيل هو ذبيح الله وهو الذي فدى بذبح عظيم، فاهتم الخليفة بهذا الأمر[٧٢] وسأل محمد بن كعب القرظي عن رأيه: أي ابني إبراهيم أمر الله بذبحه؟ فقال محمد بن كعب: إسماعيل والله يا أمير المؤمنين.

وهكذا نشأ الخلاف ولم يكن لينشأ لو ذكر القرآن اسم المفدى (وفديناه بذبح عظيم)[٧٣] على أن الروايات القديمة تثبت أن النبي صرح بأن الذبيح المفدى هو اسحق[٧٤] ولكن بالرغم من هذه الرواية انقسمت الآراء وافترق الناس إلى فريقين أحدهما ينصر الرأي القديم المعروف في التوراة من أن اسحق هو ذبيح الله، وآخر ينصر بغيرة وحماسة للرأي المستحدث القائل بأن إسماعيل هو الذبيح المفدى.

واحتج الفرق الأول بما روى عن كعب الأحبار وأبي هريرة وعكرمة والسدي كما استدلوا بما رواه ابن عباس عن النبي أن اسحق هو الذبيح[٧٥].

---

(٦٩) سورة الصافات، آية ١٠١ ــ ١٠٧.

(٧٠) سفر التكوين، آية ١ ــ ١٩.

(٧١) Goldziher: Die Richtungen der Koran auslegung.

(٧٢) تفسير الطبري، ج ٢٣، ص ٤٨، تاريخ الطبري، ج ١ ص ٢٩٨، قصص الأنبياء للثعلبي ص ٦٤.

(٧٣) سورة الصافات آية ١٠٧.

(٧٤) تفسير الطبري، ج ٢٣، ص ٤٦.

(٧٥) تفسير الطبري، ج ٢٣، ص ٤٦، تاريخ الطبري، ج ١، ص ٢٦٥.

أما أصحاب الرأي الثاني، فلم يعبأوا بما رواه ابن عباس، أن الرسول قال إنّ الذبيح هو اسحق، بل نشروا أحاديث على لسان ابن عباس نفسه أن إسماعيل هو المقصود بالذبيح وقد أسندت هذه الأحاديث برواية أهم تلاميذ ابن عباس وهما مجاهد والشعبي(٧٦).

ومما يجب أن يلاحظ أن عكرمة الذي كان أيضاً من تلاميذ ابن عباس لم ينسب إليه شيء يؤيد النظرية الجديدة بل ترك يروي باسم أستاذه الرواية القديمة، التي تثبت أن اسحق هو الذبيح، ونحن نعلم من أوثق المصادر أن عكرمة كان أصدق تلاميذ ابن عباس في الرواية وأنه كان أعلم الناس بكتاب الله(٧٧) والتفسير(٧٨).

ويجدر بنا أن نذكر أن ابن سعد، المتوفى سنة ٢٣٠ للهجرة، والذي عني بترجمة إسماعيل بن إبراهيم خليل الله(٧٩) وأحمد بن حنبل المتوفى سنة ٢٤١ للهجرة، والذي ذكر إسماعيل مراراً(٨٠) لم يتعرضا للخوض في مشكلة الذبيح كأنهما يتهربان منها ولا يقبلان أن ينتصرا فيها لفئة دون الأخرى.

أما الطبري، المتوفى سنة ٣١٠ للهجرة، والذي جمع بعناية فائقة جميع الأحاديث والروايات، التي تستند إليها كل فئة من الفئتين المختلفتين، فيرجع بصراحة وجرأة لا تترك مجالاً للفرض أو التشكك، بأن اسحق هو المقصود بالذبيح، وأن إسماعيل لم يكن هو المفدى، وقد ذكر في هذا الموضوع ما يأتي: «وأولى القولين بالصواب في المفدى من ابني إبراهيم خليل الرحمن على ظاهر التنزيل قول من قال هو اسحق لأن الله قال وفديناه بذبح عظيم، فذكر أنه فدى الغلام الحليم، الذي بشر به إبراهيم حين سأله أن يهب له ولداً صالحاً من الصالحين، فقال «رب هب لي من الصالحين» (سورة الصافات ١٠٠) فإذا كان المفدى بالذبح من ابنيه هو المبشر به وكان الله تبارك اسمه قد بين في كتابه، أن الذي بشر به واسحق... فإذا كان ذلك كذلك فمعلوم أن الذي ذكر تعالى ذكره في هذا الموضع، هو الذي ذكر في سائر القرآن أنه بشره به، وذلك لا شك أنه اسحق إذ كان المفدى هو المبشر به..(٨١).

---

(٧٦) تفسير الطبري، جـ ٢٣، ص ٤٨، تاريخ الطبري، جـ ١، ص ٢٩٩، قصص الأنبياء للثعلبي، ص ٦٤.

(٧٧) المرتضى الزبيدي: إتحاف السادة المتقين، طبع مصر، سنة ١٣١١، جـ ٤، ص ٥٥٦.

(٧٨) طبقات ابن سعد، جـ ٥، ص ٢١٢. وقد ذكر ابن سعد باسم عمرو بن دينار قال: «دفع إلي جابر بن زيد مسائل أسأل عنها عكرمة وجعل يقول: هذا عكرمة مولى ابن عباس، هذا البحر فسلوه. حلية الأولياء، جـ ٦، ص ٣٢٦ ــ ٣٤٧.

(٧٩) طبقات ابن سعد، جـ ١، ص ٢٣ ــ ٢٥.

(٨٠) مسند أحمد، جـ ١، ص ٢٥٣.

(٨١) تفسير الطبري، جـ ٢٣، ص ٤٩.

ولم يتردد العالم إبراهيم بن محمد البيهقي المتوفى سنة ٣٢٠ للهجرة[٨٢] والشاعر أبو العلاء المعــري، المتوفى سنة ٤٤٩ للهجرة[٨٣]، والفقيه عبد القادر الجيلاني المتوفى سنة ٥٦١ للهجرة[٨٤]، في أن يجاهر جميعــاً، بأن اسحق هو الذي كان المفدى من الذبح، على أن الجاحظ المتوفى سنة ٢٢٥ للهجرة، لم يشأ أن يــرجح أحــد الرأيين بل اكتفى بذكر زعماء الفريقين[٨٥] أما الثعلبي، المتوفى سنة ٤٢٧ للهجرة، فقد ســرد أخبــار الخــلاف، ورجح رأي الفئة الثانية، مستدلاً بما رواه الشعبي من أنه رأى قرني الكبش الذي ذبح فداء الذبيح[٨٦] وقد تعرض الطبري لهذا التعليل الساذج وقال: «أما اعتلال من اعتل بأن قرن الكبش كان معلقاً في الكعبة فغير مســتحيل أن يكون حمل من الشام إلى مكة، وقد روي عن جماعة من أهل العلم أن إبراهيم إنما أمر بذبح ابنه اســحق بالشــام وبها أراد ذبحه»[٨٧].

وعلى نحو الفئة الثانية، نحا ابن قيم الجوزية المتوفى سنة ٧٥١ للهجرة[٨٨] ومحمد رمضان، من مسلمي جنوب الأندلس، الذي دون رسالة باللغة الإسبانية عن قصص الأنبياء في سنة ١٦٠٣ للميلاد[٨٩] والأســتاذ عبــد الوهاب النجار، الذي يعتقد أن لفظ إسحق حشر حشراً في غضون قصة الذبيح في التوراة، وأن المفتدى إنما كان إسماعيل لا غيره[٩٠]، وكذلك ذكر الشريف الرضي الشيعي المذهب، المتوفى سنة ٤٠٦ للهجرة، أن المفدى مــن الذبح كان إسماعيل،[٩١] ويميل جمال الدين محمد جار المخزومي القرشي من رجالات القــرن التاســع للهجــرة اعتماداً على بحث مفصل عميق في القرآن إلى الرأي بأن اسحق هو المفدى[٩٢].

ولما كان أغلب علماء المسلمين في العصور المتأخرة قد أخذوا بالرأي الثاني

---

(٨٢) كتاب المحاسن والمساوئ، طبع Schwally **جـ ١ ص ١٥١.**

(٨٣) سقط الزند، طبع مصر، سنة ١٢٧٦، جـ ١ ص ٦٤.

(٨٤) الغنية لطالبي طريق الحق عز وجل، طبع مكة، سنة ١٣١٤، جـ ٢ ص ٤٠.

(٨٥) كتاب الحيوان، للجاحظ، طبع مصر سنة ١٣٢٣، جـ ١ ص ٧٤.

(٨٦) قصص الأنبياء، ص ٦٥.

(٨٧) تفسير الطبري، جـ ٢٣ ص ٤٩.

(٨٨) كتاب زاد المعاد في هدى خير العباد، طبع مصر سنة ١٣٢٤، جـ ١ ص ١٦.

(٨٩) M. Grünbaum: Neue Beitrage zur Semitischen Sagenkunde. Leiden 1893 p. 249.

(٩٠) قصص الأنبياء، طبع مصر سنة ١٣٥١، ص ٧٦.

(٩١) تفسير القرآن المسمى بحقائق التأويل في متشابه التنزيل، تأليف السيد الشريف الرضي، طبع النجف الأشرف، سنة ١٩٣٦، جـ ٥ ص ٢٥٠.

(٩٢) الجامع اللطيف في فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف، طبع القاهرة، سنة ١٩٢١ ص ٢٥٧ ــ ٢٥٨.

ولم يعبأوا بالحجج، التي استند إليها الفريق الأول، فقد شاع تلقيب كل من سمى إسماعيل بلقب «أبو الفداء».

وممن اشتهر بهذا اللقب، إسماعيل بن علي أبو الفداء، المتوفي سنة ٧٣٢ للهجرة، صاحب المختصر في أخبار البشر، وأبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي، المتوفى سنة ٧٧٤، صاحب البداية والنهاية، وأبو الفداء إسماعيل بن محمد القونوي المتوفى سنة ١١٩٥ للهجرة، صاحب **حاشية القونوي** على تفسير القاضي البيضاوي.

ولقد توسعنا في ذكر تفاصيل الخلاف في مسألة الذبيح لأننا نعتقد أنها من خيرة الأمثلة، التي يستطيع الباحث أن يسوقها ليوضح مبلغ التقلبات التي طرأت على بعض الروايات، ويظهر مقدار ما يلحقها من عبث، بسبب الأغراض المختلفة والأهواء المتباينة[٩٣].

ح ــ كعب الأحبار في أدب الفقه

ليس لكعب الأحبار في الفقه الإسلامي مكانة ذات قيمة، ولم نجد له في هذا الميدان إلاّ بعض روايات ذكرها أقدم الجامعين للروايات الفقهية الإسلامية، فقد وردت عند مالك روايتان فقهيتان، عن كعب الأحبار ذكر في الأولى منهما بإسناد عن عطاء بن يسار أنه سأل عبد الله بن عمرو بن العاص وكعب الأحبار، عن الذي يشك في صلاته فلا يدري كم صلى أثلاثاً أم أربعاً، فكلاهما قال: ليصل ركعة أخرى ثم يسجد سجدتيْن وهو جالس[٩٤].

وذكر في الثانية، وهي أهم من الأولى، عن عطاء بن يسار أيضاً ما يأتي: «إن كعب الأحبار أقبل من الشام في ركب، حتى إذا كانوا ببعض الطريق وجدوا لحم صيد، فأفتاهم كعب بأكله، فلما قدموا على عمر بن الخطاب بالمدينة ذكروا ذلك له فقال: من أفتاكم بذلك قالوا: كعب، قال: فإني قد أمرته عليكم حتى ترجعوا، ثم لما كانوا ببعض طريق مكة مرت بهم رجل من جراد فأفتاهم كعب أن يأخذوه فيأكلوه فلما قدموا على عمر بن الخطاب ذكروا ذلك له فقال: ما حملك على أن تفتيهم بذلك قال هو من صيد البحر قال وما يدريك قال: يا أمير المؤمنين والذي نفسي بيده أن هي إلاّ نثرة حوت ينثره في كل عام مرتين[٩٥].

---

(٩٣) راجع ما ورد في أمر المفدى من الذبح في كتاب:

(٩٣) Ignaz Goldziher: Die Richtungen der Islamischen Koranauslegung. Leiden 1929 p. 79-81.

(٩٤) موطأ مالك، طبع مصر، سنة ١٣٤٣، جـ ١، ص ١١٨.

(٩٥) موطأ مالك، طبع مصر، سنة ١٣٤٣، جـ ١، ص ٣٢٤.

وتتضمن هذه الرواية فتوتين الأولى في بيان لحم الصيد في الحج، ويوجد مثل هذه الفتوة، مروية عن أبي هريرة، الذي كان على رأس قوم محرمين بالربذة فاستفتوه في لحم صيد وجدوا ناساً أحلة يأكلونه فأفتاهم بأكله، ثم قدم المدينة على عمر بن الخطاب فسأله عن ذلك فقال: بما أفتيتهم قال: أفتيتهم بأكله فقال عمر: لو أفتيتهم بغير ذلك لأوجعتك(٩٦).

أما الفتوى الثانية المذكورة في رواية كعب، فهي عن حل صيد الجراد للمحرم وهناك رواية أن عمرو بن العاص دعا خالد بن ثابت الفهمي، جد بني رفاعة ليجعله على المكس فاستعفاه فقال عمرو ما تكره منه قال: إن كعباً قال لا تقرب المكس فإن صاحبه في النار(٩٧).

ط ــ كعب الأحبار والشعر العربي

لم نعثر في الشعر العربي، الذي قاله الشعراء المعاصرون لكعب على ما يثبت اتصاله بالشعراء، سوى ما جاء في رواية واحدة عن عثمان بن أبي عائشة الذي قال: سمع كعب الحبر رجلاً ينشد بيت الحطيئة:

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه   لا يذهب العرف بين الله والناس

فقال: والذي نفسي بيده أن هذا البيت لمكتوب في التوراة، قال اسحق قال العمري: والذي صح عندنا في التوراة لا يذهب العرف بين الله والعباد(٩٨).

ي ــ المقياس الصالح للتوثق من روايات كعب الأحبار

لم يصل إلينا، أن لكعب الأحبار شيئاً من المصنفات بل لم يصل إلينا، أن أحداً من الصحابة أو التابعين في النصف الأول للقرن الأول من الهجرة قد ألف كتاباً أو دوّن مصنفاً، ومع ذلك لا نشك في أن هناك روايات كثيرة قد دونت في أثناء القرن الأول للهجرة، لأن تلاميذ بعض الصحابة كانوا يدونون الروايات والقصص والنظريات

---

(٩٦) موطأ مالك، طبع مصر، سنة ١٣٤٣، جـ ١ ص ٣٢٤.

(٩٧) كتاب فتوح مصر وأخبارها، لابن عبد الحكم، ص ١١٢.

(٩٨) أبو الفرج الأصفهاني، كتاب الأغاني، طبع بولاق، سنة ١٢٨٥، جـ ٢، ص ٥٠. حلية الأولياء جـ ٦، ص ٤٤، وقد ورد هذا البيت من الشعر في ديوان جرول ابن أوس الحطيئة (راجع مقالة العالم جولدتسيهر (I. Goldziher) في المجلة الألمانية الشرقية (Z.D.M.G. X L VI p. 38).

المنسوبة إلى أساتذتهم(٩٩) وقد ذكر صاحب الفهرس(١٠٠) أن كتاب ابن عباس الذي رواه مجاهد وعكرمة، الذي انتقلت رواياته مكتوبة إلى أيدي الناس، كانت من أقدم مصنفات المسلمين(١٠١)، ومن المعروف أن بعض الصحابة كانوا يدونون بأيديهم بعض الروايات، كما ذكر عن ابن عباس، أنه كان يكتب على ألواح عن أبي رافع شيئاً من فعل رسول الله(١٠٢)، وأن عبد الله بن عمرو بن العاص كان يكتب أحاديثه عنه(١٠٣)، وأن أبا هريرة لم يكتب، ولكن كاتب مروان كتب عنه كما يتضح من الرواية الآتية: «كان مروان قد دعا أبا هريرة وأقعده خلف السرير، وجعل مروان يسأل وجعل كاتب مروان يكتب عنه، حتى إذا كان عند رأس الحول، دعا به وأقعده من وراء الحجاب، فجعل يسأله عن ذلك الكتاب، فما زاد ولا نقص ولا قدم ولا آخر»(١٠٤).

وأنا لنعلم أن ابني كعب كانا يدونان كثيراً مما سمعا عن أبيهما(١٠٥) وكذلك نعلم أن عبد الله بن عمرو بن العاص، كان يكتب أحاديثه ثم ينشرها على الناس(١٠٦).

وينبغي أن نشير إلى أن استعمال الأسانيد لم يكن مألوفا في النصف الأول من القرن الأول للهجرة(١٠٧)، ولذلك فإن كثيراً من الروايات المنقولة عن كعب لم ينسبها تلاميذ ابن عباس وأبي هريرة إلى كعب، بل نسبوها مباشرة إلى أستاذهم وعلى هذا النحو وصلت من السلف إلى الخلف، وقد نسب ابن جرير الطبري في تفسيره كثيراً من الروايات الإسرائيلية المأخوذة من التوراة والتلمود لابن عباس وأبي هريرة وغيرهما من الصحابة والتابعين، مع أننا نعرف يقيناً أنهم إنما نقلوها عن كعب وعن غيره من مسلمة اليهود، وكذلك يستقي الطبري معلومات كثيرة في القصص والإسرائيليات من مصنفات وهب بن منبه(١٠٨) وهو الذي اعتمد على كعب في كثير

---

(٩٩) Goldziher: Muh, Studien II. p. 9 f.

(١٠٠) فهرس ابن النديم، ص ٥٠، ٥١، ٥٧ (كتاب ابن عباس رواه مجاهد ــ كتاب تفسير عكرمة رواه عن ابن عباس).

(١٠١) إحياء، جـ ١، ص ٧٩. Goldziher: Koranauslegung, p. 76 f.

(١٠٢) طبقات ابن سعد، جـ ٣ ص ١٢٣.

(١٠٣) البداية والنهاية لابن كثير، جـ ٨ ص ١٠٦.

(١٠٤) البداية والنهاية لابن كثير، جـ ٨ ص ١٠٦.

(١٠٥) تاريخ الطبري، جـ ١، ص ٤٢٤، تهذيب ابن حجر، جـ ١ ص ٥٠٨.

(١٠٦) البداية والنهاية، لابن كثير، جـ ٨ ص ١٠٦.

(١٠٧) Goldziher: Muh. Studien II p. 6. Caetani: Annali dell'Islam I p. 31.

(١٠٨) J. Horovitz. Alter und Ursprung des lsnad im Islam, VII p. 39. Goldziher: Koran auslegung p. 89.

مما روى عن أحاديث الأنبياء والعباد وأحاديث بني إسرائيل.

على أن أغلب ما روى كعب الأحبار ضاع على مر الزمن، واندمجت بعض تعاليمه ورواياته في كتب وأسانيد الصحابة والتابعين والمؤلفين الآخرين في القرن الثاني والثالث للهجرة.

أما القول، بأن جميع ما نسب إلى كعب من الروايات منتحل ومدسوس عليه فقول لا أساس له من الصحة، ولا شك في بطلانه، لأن من الذين رووا عن كعب كثيرين من العلماء والمؤرخين الأثبات، الذين بلغوا النهاية القصوى من الفضل والأمانة، واليقظة، وماذا نقول في أمثال مالك بن أنس، وعبد الله بن وهب وابن سعد والطبري؟

ولسنا نعني بذلك، أنه ليس هناك شيء منتحل منسوب إلى كعب، فهذا أمر محتمل، ولكن إنكار الجميع ونفي كل شيء فأمر غير معقول ولا مقبول، كما لا يعقل ولا يقبل أن ننكر جميع ما ورد عن غيره من الصحابة والتابعين في المدونات المذكورة، إذ هناك ولا شك روايات تشتمل على أسانيد قوية لا ريب في صحتها، ولا شك في تواترها، وكيف يمكن أن نتهم جميع رجال الإسناد بالرياء والكذب وسوء النية وفساد الطوية، ثم إن الذي يعرف حمية مالك الدينية ومكانته العلمية، والذي وقف على عقلية عبد الله بن وهب القرشي «**طالب العلم والحقيقة**»[١٠٩]، والذي درس نفسية ابن سعد النزيهة وعقليته الحصيفة في بحوثه التاريخية[١١٠]، والذي تبين مجهود الطبري المؤرخ والمفسر[١١١] الذي كان كالنهر العظيم، قد جمع مياهه المتلاطمة من بحيرات ونهيرات لا عداد لها ولا حصر... إن الذي عرف هؤلاء ووقف على مقدار ما بذلوه من مجهود في تأليف مدوناتهم القيمة لا يستطيع أن ينفي كل ما ورد فيها من روايات، أو يشك في جميع ما أثبت بها من أسانيد، بل الطريقة المثلى، إنما هي أن ننظر إلى كل رواية على حدتها فنفحص أسانيدها ومضمونها ونبحثها بحثاً تحليلاً نقدياً، ثم نحكم لها أو عليها بالقول أو بالرفض.

لقد ذكرنا، أن هناك قصصاً دينية كثيرة، كانت شائعة بين جميع يهود المعمورة تتداولها الألسن ويتناقلها الخلف عن السلف، دون أن تكون مدونة في مصنف أو مثبتة في كتاب، ولا شك أن يهود بلاد العرب، كان لديهم من هذه القصص مثل ما كان لدى غيرهم، وكان كعب أحد أعلام اليهود في بلاد اليمن قبل اعتناقه الإسلام، فهو بلا شك عارف بهذه القصص، واقف على دقائقها وتفاصيلها، وقد قص منها

---

(١٠٩) راجع مقالتنا في جريدة الأهرام، من يوم ٢٥ نوفمبر سنة ١٩٣٣ عدد ١٧٥٩٠.

(١١٠) راجع مقدمة العلامة ساخو لطبقات ابن سعد، جـ ٣، قسم أول ص ٣٠.

(١١١) راجع مقالتنا عن الطبري في جريدة الأهرام من يوم ٤ يناير سنة ١٩٣٤، وما ورد في كتاب:
J. Goldziher: Die Richtungen der Koranauslegung p. 86-98.

ما شاء أن يقص بعد أن اعتنق الإسلام فأثبتت في المراجع الإسلامية، ولم تثبت في المراجع اليهودية بل ضاعت هناك مع ضياع المراكز الدينية اليهودية في بلاد العرب.

ويجب ألا يغيب عن بالنا، أن عدم وجود اسم كعب في أدب الحديث ولا في مجموعاته الصحيحة، لا يدل على عدم الثقة بشخص كعب الأحبار كما أراد غير واحد من المتأخرين أن يذهب إليه، إنما يرجع ذلك إلى أن الأحاديث الصحيحة لم تجمع إلاّ لأغراض فقهية قبل كل شيء، وعلم كعب كان في الإسرائيليات وفي قصص التوراة والتلمود ويؤكد لنا الأصبهاني ما يأتي: «لقد أسند كعب عن أكابر الصحابة، عن أمير المؤمنين الفاروق عمر وعن السيد المهاجر المتاجر صهيب بن سنان»[١١٢] لذلك لم يرد لابن اسحق ذكر في صحيح البخاري مطلقاً مع أنه جمع أحاديث كثيرة جداً ولكنه نقلها عن الصحابة والتابعين الذين رووا الأحاديث الفقهية، التي لم يكن لكعب مجال فيها حتى لم يرو عنه شيء منها إلاّ نادراً جداً، لأنه ليس إلاّ رجل سيرة وبحث في التاريخ.

ثم إن كعب الأحبار لم يكن صحابياً فهو لم يرَ الرسول ولم يعرف من أحاديثه أكثر مما سمعه من غيره لذلك لم يكن معاصروه يتباحثون معه في أحاديث الرسول كثيراً، ولنا الحق في أن نفرض أن رجال الصحيح لم يشاؤوا أن يعتمدوا على كعب في رواية الحديث، لأنه كان يهودياً قبل أن يعتنق الإسلام، كما فعلوا مع عبد الله بن سلام الذي كان صحابياً جليلاً، وكان من أصدق أصدقاء الرسول منذ دخل يثرب وكان بلا شك قد عرف عن الرسول أكثر مما عرف أبو هريرة، الذي لم يتصل بالرسول إلاّ في أخريات أيامه، وكان عبد الله بن سلام من خيرة الصحابة في التقوى والإخلاص للإسلام، ومع ذلك رغب عنه المحدثون، ولم ينقلوا عنه إلاّ في النادر وعند الحاجة القصوى.

وكذلك كان شأنهم مع كل من اعتنق الإسلام من اليهود والمسيحيين، أما اعتمادهم على محمد بن كعب القرظي، وأخذهم بروايته يرجع إلى أنه لم يولد يهودياً بل كان والده قد دخل الإسلام في صباه، فكان هو مسلماً من المهد إلى اللحد، وكان فوق ذلك قد أظهر من الغيرة على الدين الحنيف، ما بلغ حد التطرف وبالغ في الطعن على اليهود، وحمل عليهم حملات شعواء وقد شهد ابن خلدون، أن العرب لم يكونوا أهل كتاب ولا علم، وإنما غلبت عليهم البداوة والأمية، فإذا تشوفوا إلى معرفة شيء مما تتشوف إليه النفوس الإنسانية في أسباب المكونات وبدء الخليقة وأسرار الوجود، فإنما يسألون عن أهل الكتاب قبلهم ويستقبلونه منهم. وهؤلاء مثل كعب الأحبار ووهب بن منبه وعبد الله بن سلام وأمثالهم، فامتلأت التفاسير من النقولات عنهم في أمثال هذه الأغراض موقوفة عليهم، وليست مما يرجع إلى الأحكام

---

(١١٢) حلية الأولياء، ج ٦ ص ٤٥.

فيتحرى فيها الصحة، التي يجب بها العمل، وتساهل المفسرون في مثل ذلك، وملأوا كتب التفسير بهذه النقولات، حتى بعد صيتهم وعظمت أقدارهم بما كانوا عليه من المقامات في الدين والملة فتلقيت بالقبول من يومئذ...[١١٣].

ونود أن نشير في ختام هذا الباب، إلى أن الرأي العام عند رجال الدين من اليهود، قد أظهر سخطاً شديداً من بعض نظريات منسوبة لكعب، حيث قيل إن رأس الجالوت[١١٤] قال إلى أبي الأسود، إن كل ما تذكرون عـن كعب بما يكون أنه يكون إنْ كان. قال لهم، إنه مكتوب في التوراة يسبح لله الطيور والشجر وكذا وكذا، وإنما الذي يحدث به كعب عما يكون من كتب أنبياء بني إسرائيل وأصـحابهم، كمـا تحـدثون أنـتم عـن نبـيكم وعـن أصحابه...[١١٥].

---

(١١٣) **مقدمة ابن خلدون، جـ ٢ ص ٣٩٢**
(Prolégomènes d’Ebn Khaldoun premier Tome deuxième partie, p. 387).

(١١٤) **عرف الرئيس العام ليهود بلاد العراق في بضع عصور سابقة للإسلام، وفي أثناء حكم المسلمين في الديار العراقية إلى سنة ١٠٤٠ للميلاد باسم رأس الجالوت.**

(١١٥) **الإصابة لابن حجر، جـ ٣ ص ٦٣٨.**

الباب الثالث

درجة نمو القصة الإسلامية فيما بين القرنيْن الأول والخامس ــ كعب الأحبار في قصص الأنبياء للثعلبي ــ موازنة بين ما عند الثعلبي وما عند الطبري من القصص المنسوبة لكعب ــ قصة الخضر وكعب الأحبار ــ قصة إِرَم ذَاتِ الْعِمَادِ وكعب ــ روايات كعب الأحبار في كتاب قصص الأنبياء للكسائي.

أ ــ درجة نمو القصة الإسلامية فيما بين القرنين الأول والخامس

ليس من شك في أن منشأ القصة الإسلامية يرجع إلى عهد الخلفاء الراشدين، فقد كانت الجماهير الإسلامية من ذلك الحين، في حاجة شديدة إلى من يفصل الكلام ويوسع المجال للخيال، في أثناء شرح الآيات القصصية من الكتاب الكريم[١].

لذلك انتشر القصاص في الأمصار الإسلامية، وأخذوا يلقون أقاصيصهم على جماهير الناس في الجوامع والمجامع، شارحين القصص القرآنية شرحاً شعبياً ملائماً لمستوى عقول الجماهير، فكان عامة الشعب يجتمعون رجالاً ونساءً فيستمعون إلى القاص بشغف متأثرين بالمواقف المختلفة تأثراً شديداً واضحاً، فيهتفون هتافاً حماسياً ويرفعون أصواتهم ويمدون أيديهم[٢] كما هو شأنهم إلى اليوم حين يجتمعون في الأندية الشعبية وينصتون في ليالي رمضان وفي غيرها إلى القصاص الذين يقصون عليهم قصصاً مختلفة ما بين دينية ودنياوية.

ولم يكن هذا العمل مرضياً من الجميع، بل كان كثيرون من الصحابة والتابعين

---

(١) راجع ما ورد عن القصاص في كتاب: I. Goldziher: Muhm. Studien p. 161 ff.

(٢) قوت القلب، ج ١، ص ١٤٨.

وغيرهم من الأتقياء يرون في هذا العمل «بدعة» غير مقبولة حتى قيل: «لم يقص في زمن رسول الله ولا أبي بكر ولا عمر حتى ظهرت الفتنة فلما وقعت الفتنة ظهر القصاص»[٣].

ولكي نتمكن من أن نقف وقوفاً صحيحاً على النزاع بين طبقة المحافظين من رجال المسلمين، وبين أنصار بدعة القصة، من أول نشأته نسرد ما ورد في هذا الأمر الخطير في باب الجلوس إلى القاص من كتاب الجامع في الحديث، وهو أقدم مصدر إسلامي في هذه المادة: «لم يكن ابن المسيب يجلس مع القاص ولا يسجد معه إذا سجد، وقد حدث مالك، إن عبد الرحمن بن القاسم كان ألزم شيء لأبيه، ففقده ذات ليلة ثم جاء فقال: أين كنت فقال عند قاص، قال: خير إن شاء الله يا بني ولا تعود مرة أخرى، عن أزهر بن سعيد قال: سمعت ذا الكلاع يقول: كان كعب يقص في إمارة معاوية فقال لي عوف بن مالك يا أبا شرحبيل أرأيت ابن عمك هذا بأمر الأمير يقص؟ قال لا أدري، قال: سمعت رسول الله عليه السلام يقول القصاص، فإنه أمير أو مأمور أو مختال، عن كامل بن نفير إن أم الدرداء بعثته إلى نوف البكالي وإلى رجل آخر يقصان فقالت: قل لهما ليكن موعظكما الناس لأنفسكما، عن علي بن أبي طالب أنه قال: من لا يعلم منسوخ القرآن فلا يقص على الناس، قال مالك إن عبد الله بن عمر أقام بعد رسول الله عليه السلام سبعين سنة، وقد كان ابن مسعود وغيره من أصحاب النبي عليه السلام وما أعلم أحداً منهم قص، عن مالك بن أنس أن تميم الداري قال لعمر بن الخطاب دعني أدعو وأقرأ وأقص وأذكر الناس، فقال عمر: فأعاقبك عليه، فقال: إنه يريد أن يقول أنا تميم الداري فاعرفوني، ثم ضربه عثمان بن عفان على القصص في المسجد، وجده يقص بعد المغرب، عن عبد الله بن أبي فروة قال: رأيت حرس عمر بن عبد العزيز يتبعون القصاص في المسجد يخرجونهم من المساجد، عن عمرو بن دينار أن تميم الداري استأذن عمر بن الخطاب في أن يقص فقال: إن شئت أذنت لك وهو الذبح وأشار بيده إلى حلقه، ودخل عوف بن مالك الأشجعي مسجد حمص، ومعه ذو الكلاع من حمير فقال له عوف: هذا ابن عمك يقص، فقال ذو الكلاع: وما يمنعهم وهو حبر هذه الأمة. فقال عوف: أما أنا سمعت رسول الله (صلعم) يقول: لا يقص في مسجدنا إلاّ أمير أو مأمور أو مختال، عن أبي صالح الغفاري قال: بينما سليم بن عتر يقص على الناس إذ قال شيخ من بني غفار: ما قطعنا أرحامنا ولا ساءت ذات بيننا حتى قام هذا ونحوه بين أظهرنا، وقعد سلمان الفارسي يوماً مع ناس من قريش والأنصار فلما أراد أن يقوم سألوه أن يدعو لهم، فلما كان من الغد قعد إليهم فسألوه أن يدعو لهم فأبى فقالوا له أصلحك الله قد دعوت لنا أمس فما بالك اليوم، قال: وددت أني بمجلسي أمس كفاني، لا علي ولا لي، وأتاني الشيطان

---

(٣) المرتضى الزبيدي: إتحاف السادة، طبع مصر سنة ١٢٨٠، جـ ١ ص ٢٤٣.

فقال: رجال قريش والأنصار يأتوك في دعائك...[٤].

ولكن رغم مقاومة الخلفاء والأتقياء، فإن القصة انتشرت في الأمصار انتشاراً عجيباً لم يقو على إضعافه والتقليل منه إخراج القصاص من المساجد[٥] وضربهم بالسياط[٦] وإنذار الخليفة المعتضد ببغـداد، بـألا يقـص القصاص في الطرق والمساجد[٧] بالتوبيخ والإهانة حتى قيل أكذب الناس القصاص[٨] وقد شاعت القصة شـيوعاً عظيماً[٩] لأن هذا النوع من الأدب كان من لوازم الدين عند الطبقات الشعبية.

وكان من أهم موضوعات القصة ما ورد حول الآيات القصصية في القرآن عن أنبياء بني إسرائيل، وقد بذل القصاص مجهوداً عظيماً في جمع ما وصل إليهم من الأخبار عن طريق اليهود والمسيحيين، زادوا عليه مـا اخترعته مخيلتهم الخصبة ثم ألبسوه بمهارة مسحة إسلامية توافق المبادئ الإسلامية وترضي المجتمع العربي في الوسط الإسلامي.

وإلى هذا النوع من الأدب القصصي المعروف بأدب قصص الأنبياء، يتصل اسم كعب اتصـالاً وثيقـاً، ومع أنه لم يذكر في المصادر الإسلامية باسم قصاص، بل باسم رواية فهو يعد شيخ القصاص لأخبار بني إسرائيل عند المسلمين.

وكان كعب يقص في المساجد والمجالس علانية أمام الخلفاء والصحابة التابعين، ولا نتردد في التصريح بأن كعباً لم يترك شيئاً مدوناً في القصص بل ترك قصصه روايات تنتقل من السلف إلى الخلف، وقد ذكرنا مـن قبل أن الصحابة والتابعين، ولا نتردد في التصريح بأن كعباً لم يترك شيئاً مدوناً في القصص بـل تـرك مـدون منسوباً إليهم، وقد كان الاعتقاد الشائع في الأندية الإسلامية منذ عصور كثيرة، أن أول مـن دون فـي قصـص الأنبياء هو عبيد بن شرية، الذي إليه نسب كتاب

---

(٤) الجامع في الحديث لعبد الله بن وهب باب الجلوس إلى القاص من ص ٨٣ سطر ٥ إلى ص ٨٥ سطر ٤.

(٥) قوت القلوب جـ ١ ص ١٤٨، منتخب كنز العمال لعلاء الدين الهندي على هامش مسند أحمد طبع مصر سنة ١٣١٣ جـ ٤ ص ٥٦

(٦) كتاب الإحياء للغزالي جـ ٣ ص ٢٧٩.

(٧) تاريخ الطبري جـ ٣ ص ١٢٣١، إتحاف السادة للزبيدى جـ ١ ص ٢٤٢.

(٨) إتحاف السادة جـ ١ ص ٢٤٣، قوت القلوب جـ ١ ص ١٤٣.

(٩) الجاحظ: كتاب الحيوان طبع عبد السلام محمد هارون بمصر سنة ١٩٣٨ (عبد الأعلى القاص) جـ ١ ص ١٠٧ (أبو كعب القاص) جـ ٣ ص ٢٤ ــ ٢٥.

الملوك وأخبار الماضين[١٠] وليس ما يدل على ما إذا كان عبيد نفسه، هو الذي كتب مصنفه بيده، أم إن تلاميذه هم الذين صنفوه ثم نشروه باسم أستاذهم.

أما المستشرقون، فيشكون في صحة وجود كتاب في القصص منسوب لعبيد بن شرية، وقد ذهب العالم ليدسبرسكي في شكه إلى إنكار وجود عبيد نفسه، وإنما هو في نظره شخصية خيالية خرافية، لا أصل لها في الوجود إذ لم يكن هناك صحابي بهذا الاسم[١١].

وأول كتاب في هذا الموضوع لا شك فيه ولا ريب يحوم حوله، هو الذي انتشر منذ أوائل القرن الثاني للهجرة وهو المنسوب لوهب بن منبه المتوفى سنة ١١٠ للهجرة. وقد عرف كتابه باسم قصص الأنبياء، وكان هو الذي ألف الكتاب لتلاميذه وقد نقل عنه الطبري والمسعودي والثعلبي والكسائي وابن حجر العسقلاني.

والغريب أنه مع كثرة انتشار القصاص، وإقبال الجمهور على قصص الأنبياء، لم يصل إلينا مصنفات كاملة، إبان القرن الثالث والرابع في هذا النوع من الأدب، ويبدو لنا أن ذلك راجع إلى الاضطهادات الكثيرة التي كانت تلحق كل من له صلة بهذا النوع من التدوين، حتى كانوا معرضين لعقوبة الإعدام[١٢].

ويذكر مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي المشهور باسم حاجي خليفة، إن المتصوف سهل بن عبد الله التستري المتوفى سنة ٢٨٣ للهجرة، قد ترك مدوناً في قصص الأنبياء وصرح بأنه رأى هذا الكتاب[١٣] ومع ذلك فإنه يشك في صحة وجود كتاب في قصص الأنبياء للتستري، لأن صاحب الفهرس يعد للتستري ثلاثة كتب دون أن يشير أقل إشارة إلى مصنف له في قصص الأنبياء[١٤]، وأهم كتاب

---

(١٠) C. Brokelmann: Geschichte der Arabischen Litteratur I p. 64.

(١١) ونسخ هذا الكتاب التي كانت متداولة في أيدي الناس في زمن الهمداني في أثناء القرن الرابع للهجرة كانت مختلفة في مضمونها وكانت الأيدي الكثيرة قد عملت فيها وتصرفت بها زيادةً ونقصاً وكانت رائجة رواجاً عظيماً في جميع الأمصار الإسلامية.

وذكر ابن النديم عنه ما يأتي: «عبيد بن شرية الجرهمي في زمان معاوية وأدرك ولم يسمع منه شيئاً ووفد على معاوية بن أبي سفيان، فسأله عن الأخبار المتقدمة وملوك العرب والعجم وسبب تبلبل الألسنة، وأمر افتراق الناس في البلاد، وكان استحضره من صنعاء اليمن، فأجابه إلى ما أمر، فأمر معاوية أن يدون وينسب إلى عبيد بن شرية، وعاش عبيد بن شرية إلى أيام عبد الملك بن مروان وله من الكتب كتاب الأمثال وكتاب الملوك وأخبار الماضين.. وكتاب الأمثال نحو خمسين ورقة رأيته. (كتاب الفهرس طبع مصر سنة ١٣٤٨، ص ١٣٢.)

(١٢) Lidzbarski: De Propheticis. p. 2

(١٣) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، جـ ٤ ص ٥١٨.

(١٤) وذكر ابن النديم ما يأتي: سهل بن عبد الله التستري المتصوف له من الكتب: كتاب دقائق المعجبين، كتاب مواعظ العارفين، كتاب جوابات أهل اليقين (كتاب الفهرس، طبع مصر، سنة ١٣٤٨، ص ٢٦٣).

في هذا الموضوع بعد كتاب وهب بن منبه هو الذي دونه العلامة أبو اسحق أحمد بن محمد إبراهيم النيسـابوري المعروف بالثعلبي المتوفى سنة ٤٢٧ للهجرة الذي ألف كتاب «عرائس المجالس في قصص الأنبياء»[١٥]، ثم هناك مجموعة في قصص الأنبياء ألّفها العلامة الكسائي في النصف الأول من القرن الخامس للهجرة.

ولما كان كعب الأحبار قد ورد ذكره في هذين المصنفين مرات كثيرة، حتى يعتبر من أهم مـن يـروى باسمه عندهما، فليس من الصعب تعيين مكانته في أدب قصص الأنبياء، والبحث عن أنواع الروايـات المنسـوبة إليه.

ب ـ كعب الأحبار في قصص الأنبياء للثعلبي

لم يسلك الثعلبي في جمع روايات قصصية مسلك جامعي روايات صحيح الحديث النبوي، أي أن يكـون كل حديث متصل الإسناد بنقل الثقة عن الثقة من أوله إلى منتهاه سالماً من الشذوذ والعلة[١٦]، هذه الشروط غيـر موفورة عند الثعلبي وفي أحوال كثيرة يتصدر القصة سلسلة من الأسانيد، لكنها غير متواترة ولا دقيقـة[١٧] ولـم تكمل فيها شروط الصحيح من الروايات، كأنها إنما جاءت لتقليد نظام الروايات دون النظر إلى شروطها.

وأغلب الروايات عنده جاءت بدون إسناد، فتارة يتصل مباشرة بالرسول[١٨] وتـارة يـذكر اسـم أحـد المحدثين من الصحابة والتابعين، دون أي إسناد[١٩].

ويلوح لنا أن هذه الطريقة كانت مقصودة من الثعلبي، وليست ناشئة عن إهمال أو نسيان، لأنه لـو أراد أن ينحو نحو المحدثين المدققين، لما كان ذلك عليه عسيراً.

ولكن **كتاب العرائس**، كان موجهاً إلى الطبقات الشعبية، لأن العلماء والملمين بتفسير القرآن، ليسوا فـي حاجة إلى هذا النوع من القصص. ثم أن كثيراً من

---

(١٥) ونود أن نشير إلى أن حاجي خليفة، ذكر العالم عز الملك بن عبد الملك المسيحي الحراني المتوفى سنة ٤٢٠، الذي دون مصنفاً في قصص الأنبياء (كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون) ج ٤، ص ٥١٨.

(١٦) شرح النووي لصحيح مسلم، طبع مصر، سنة ١٣٤٨، ج ١، مقدمة، ص ١٥.

(١٧) قصص الأنبياء، ص ٥، ١٢، ١٣، ٤٥، ٥٨.

(١٨) وقد ورد في قصص الأنبياء الإسناد على هذا النحو: روى عن النبي (ص ٢٤، ٧٤) وروى عن النبي، ص ٢٩، ٣١.

(١٩) فقد ورد مثلاً: وروت عائشة، ص ٢٨، ٤٠ وقال علي بن أبي طالب، ص ١٢، ١٨ وقال ابن عباس ص ١١، ٣٥ قال كعب، ص ٤، ٩ قال وهب، ص ٦، ٢٢.

موضوعاته إنما استقي من مصادر يهودية ومسيحية غير موثوق بها، فاكتفى الثعلبي، بأن قلد نظام الروايات دون أن يأخذه بكل ما فيه من الجد والعناية بالبحث عن الأسانيد والتحري عن سلسلة متواترة صحيحة.

وقد قص الثعلبي في **كتاب العرائس**، خمساً وثلاثين رواية على لسان كعب الأحبار، وتروى ثانية قصص الكتاب من الفصل الأول باسمه، لأن الرواية الأولى لم تنسب لراوٍ معين بل ذكر في صــدرها: «وروى الــرواة بألفاظ مختلفة ومعان متفقه» ويبدو لنا أن هذا الافتتاح مقصود من المؤلف لأن كعباً كان مشهوراً بأنه شيخ الرواة في أدب قصص الأنبياء.

وقد ورد في هذه القصة ما يأتي: قال كعب الأحبار أن إبليس تغلغل إلى الحوت، الــذي علــى ظهــره الأرض، فوسوس إليه وقال له أتدري ما على ظهرك يا لوتيا من الأمم والدواب والشجر والجبال وغيرهــا لــو نفضتها وألقيتها عن ظهرك أجمع، لكان ذلك أريح لك فهمّ لوتيا أن يفعل ذلك، فبعث الله تعالى إليه دابة فدخلت في منخره فوصلت إلى دماغه فعج الحوت إلى الله تعالى منها فأذن الله تعالى لها فخرجت، قال كعب الأحبار والــذي نفسي بيده أنه لينظر إليه إن هم بشيء من ذلك عادت كما كانت[٢٠].

ونحن نعتقد أن كلمة لوتيا محرّفة عن اللفظ العبري لويتان المذكورة عدة مرات في أسفار العهد القديم[٢١] ويميل العالم ليدسبرسكي إلى الاعتقاد بأن القصة المذكورة وصلت إلى القصاص من مصادر يهودية ومسيحية[٢٢] أما قصة الحوت الذي يحمل الأرض على ظهره والذي دخلت الدابة في منخره فوصلت إلى دماغه، فمأخوذة من قصة يهودية مروية في التلمود عن طيطوس الذي عصى الله حينما قفل راجعاً إلى روما، بعــد أن خــرب بيــت المقدس، فدخلت الذبابة من منخره فوصلت إلى دماغه فهلك[٢٣] ويعتقد ليدسبرسكي أن خرافة طيطوس هذه منقولة عن قصة نمرود الجبار، وأن المسلمين أخذوا هذه القصة من مسيحيي السّريان[٢٤] ونشير بهذه المناسبة إلــى أن هناك قصصاً أخرى مروية على لسان كعب، عن الحوت كما

---

(٢٠) قصص الأنبياء للثعلبي ص ٤ وكذلك وردت القصة في مصدر أقدم منه هو حلية الأولياء جـ ٦ ص ٨.

(٢١) سفر إشعيا، فصل ٢٧ آية ١، مزامير، فصل ٧٤، آية ١٤، فصل ١٠٤، آية ٢٦، سفر أيوب، فصل ٣، آية ٨، وفصل ٤٠، آية ٢٥.

(٢٢) Lidzbarski: De Propheticis, p. 9.

(٢٣) راجع التلمود جطين ٥٦، ١.

(٢٣) Zeitschrift für Assyrologie VII p. 112-114.

ورد عند المقدسي[٢٥] أنّ المد والجزر في البحار من عمل الحوت أو أنّ الحوت ينثر في كل عام مرتين[٢٦].

وأكثر من نصف الروايات المنسوبة لكعب عند الثعلبي، مذكورة على لسانه وحده[٢٧] دون أن يشـاركه فيها غيره من الرواة، أما الباقي فمنسوب له ولغيره في آنٍ واحد[٢٨] وعند الثعلبي من الروايات المنسوبة لكعـب، ثلاث روايات مزينة بسلسلة من الأسانيد[٢٩]. ويظهر لنا أن ربط الأسانيد إلى هذه الروايات، لم يكـن مـن بـاب المصادفات، بل من الموضوعات المقصودة لأغراض معينة، أما الأولى فهي قصة توبيخ عبد الله بن عباس لكعب في حكاية قذف الشمس والقمر في النار، والثانية تشتمل على رواية من حياة يوسف الصديق، والثالثـة تتضـمن قصة عن موسى الكليم الذي نظر في التوراة ورأى فيها خير أمة أخرجت للناس، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويؤمنون بالكتاب الأول والآخر.

والقصة الثانية والثالثة غير موجودتين في المصادر الإسلامية القديمة، لذلك نعتقد أن ربطهما بالأسانيد لا يدل على صحتها، لا سيما إذا كان الإسناد من النوع الذي ورد في الثانية: وروى السدي ورجاء، عن ابن مسعود وابن عباس وناس من أصحاب النبي (صلعم)، واسحق بن بشر بن جويبر، عن الضحاك، عن ابن عباس ومقاتـل عن ابن بحيرة، عن كعب الأحبار، عن سعيد بن أبي عروبة،

---

(٢٥) شمس الدين أبو عبد الله محمد المعروف بالمقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، طبع ليدن، سنة ١٨٧٧، ص ١٣.

(٢٦) كاتب الموطأ، جـ ١، ص ٣٢٤.

(٢٧): ص ٤ «قصة الحوت» ص ١١، «قصة خلق العرش» ص ٢٨ «قصة آدم» ص ٤٩ ــ «قصة صالح» ص ٧٦، ٨٧،، ٩١، ٩٢، «قصة يوسف» ص ١٠٠، «قصة عبد الله بن عمرو وكعب»، ص ١٢٩ «قصة موسى وفرعون» ص ١٤٣ «قصة كعب والحبر من اليهود»، ص ٢٠٤، «قصة سليمان»، ص ٢٥٤، «قصة معاوية وابن عباس وكعب»، ص ٢٦٣، وص ٢٦٥، «قصة يحيى»، ص ٢٦٦ «قصة مقتل زكريا»، ص ٢٧٠ «قصة عيسى» ص ٢٧٧، «قصة المائدة».

(٢٨) وقد ذكر الثعلبي هذا النوع من الروايات على هذا المنوال: قال كعب وغيره وكان من قصصهم على ما ذكر محمد بن اسحق بن يسار والسدي والكلبي، ووهب بن منبه وكعب، قال وهب وكعب وغيرهما من أهل الكتاب، راجع: ص ١٢ «قصة سدرة المنتهى» ص ١٢ «قصة خلق الشمس والقمر» ص ٤٦ «قصة صالح» ص ٦٤ وص ٦٦ «قصة ذبح ولد إبراهيم» ص ٧٩ وص ٨٢، «قصة يوسف»، ص ١٠١، «قصة إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ» ص ١٠٦ «قصة أيوب»، ص ١٤٠ «قصة موسى» ص ١٥٨، «قصة الخضر»، ص ٢٠٦ «قصة سليمان»، ص ٢٨٣، «قصة عيسى بن مريم».

(٢٩) راجع ص ١٣، «قصة الشمس والقمر»، ص ٧٩، «قصة يوسف»، ص ١٤٣، «كعب والحبر من اليهود»

من الحسن[٣٠].

هذا التخليط في الأسانيد الذي يشتمل على بعض الأسماء المجهولة مثل ابن بحيرة، الذي لم نجد اسمه بين الصحابة أو التابعين أو الرواة من ناحية وذكر كعب الأحبار، الذي يروي باسم أبي عروبة والحسن من ناحية أخرى، يثير الشك في صحته ويرجح عندنا، أنه بعيد عن الحقيقة، فإذا أضفنا إلى ذلك أن الرواية لم تذكر في المصادر القديمة قويت الشبهة في أن أسانيد هذه الرواية، إنما جاءت لغرض معين، كما ذكرنا.

وعلى كل حال، لم يعتمد الثعلبي على الأسانيد في قصصه، بل اكتفى في أغلب الأحوال بعبارة غاية في البساطة مثل: قال كعب أو روى ابن عباس أو روى مجاهد عن ابن عباس، ويظهر أن وهب بن منبه في كتابه عن **قصص الأنبياء**، لم يستعمل نظام الأسانيد[٣١].

جـ ـ موازنة بين ما عند الثعلبي وما عند الطبري من القصص المنسوبة لكعب

لقد اتضح لنا بعد البحث الدقيق، أن خمس قصص فقط من المروية على لسان كعب، عند الثعلبي، موجودة عند الطبري أيضاً، ولكن مع اختلاف كبير في الأسانيد وفي الأسلوب، بل وفي المضمون حتى نتمكن الجزم بأن الثعلبي لم يعتمد على الطبري وحده في تأليف كتابه **العرائس**.

فهناك قصتان وردتا عند الثعلبي بدون أسانيد، وهما قصة، **سدرة المنتهى** وقصة **الأسئلة**، التي عرضها عبد الله بن عمرو على كعب، ومع أن مضمون القصة الأولى واحد تقريباً في المرجعين، لكن الأسلوب وتحليل الموضوع يختلف فيهما اختلافاً بيناً، يدل دلالة واضحة على أن الثعلبي، اعتمد في هذه الرواية على مصدر آخر غير تفسير الطبري، أما في القصة الثانية فبين النصين تشابه عظيم في الأسلوب وفي مضمون القصة، حتى لنذهب إلى أن الثعلبي نقلها نقلاً حرفياً عن تفسير الطبري[٣٢].

---

(٣٠) قصص الأنبياء، ص ٧٩.

(٣١) راجع مقالة العالم يوسف هوروفيتس في مجلة:
J. Horowitz: Islamic Culture 1927, p. 557.

(٣٢) وهذا هو نص القصة عند الثعلبي: قال كعب: لما قدم مكة عبد الله بن عمرو بن العاص قلت: سلوه عن ثلاث، فإن أخبركم فإنه عالم، سلوه عن شيء من الجنة وضعه الله للناس، وعن أول ما وضع في الأرض، وعن أول شجرة غرست في الأرض، فسئل عنها فقال عبد الله: أما الشيء الذي وضعه الله للناس في الأرض من الجنة، فهو هذا الركن الأسود،

وكذلك يمكن أنْ يقال، إن الثعلبي قد نقل من الطبري، قصة قذف الشمس والقمر في النار[٣٣] وقصة فتنة الشيطان، وتضليله إبراهيم وزوجه سارة وابنه اسحق[٣٤] لشدة التوافق وقوة التشابه بين النصين في أسلوب القصتين ومضمونهما.

لكن القصة الأخيرة، وهي قصة الخلاف حول كلمة «حمئة» في القرآن فيختلف أسلوبها في نصي الثعلبي والطبري اختلافاً كبيراً[٣٥].

وثمة أمر آخر يجب أن نشير إليه، وهو أن الثعلبي يقص قصصاً كثيرة على لسان كعب، وليس لها أثر عند الطبري، وقد ذكرنا أن الطبري يقص كثيراً من القصص على لسان وهب بن منبه، أو يرويها بإسناد عن ابن اسحق، الذي أخذها عن وهب بن منبه، مع أنها في مصادر أخرى مروية باسم كعب على لسانه مباشرة، وليس من المعقول أن يكون الثعلبي قد انتحل الأسانيد انتحالاً، حتى أوصلها إلى كعب الأحبار، بل المعقول أن يكون قد اعتمد في تأليفه **كتاب العرائس،** على مصادر أخرى كثيرة عدا كتابي **التاريخ والتفسير** للطبري فإن من المعلوم، أن الثعلبي دون تفسيراً كبيراً للقرآن المعروف **بالكشف والبيان** في تفسير القرآن[٣٦]، وانه قبل أن يدون تفسيره اطلع على أكثر من مائة مصنف في التفسير واستقى منها رواياته ومعلوماته[٣٧]، أي أنه كان عالماً عظيماً وقف في أغلب ما دون وصنف في التأريخ والرواية، قبل أن يقبل على وضع تفسيره وتدوين كتابه في **قصص الأنبياء،** ويظهر أنه ألف تفسيره أولاً، ثم لخص من الموضوعات الملائمة للعقلية الشعبية وحذف منها أغلب الأسانيد، وجعلها في كتابه عن **قصص الأنبياء**[٣٨].

وأما أول ما وضع للناس في الأرض فبئر برهوت باليمن، يردها أرواح الكفار، وأما أول شجرة وضعها الله تعالى في الأرض فالعوسجة التي اقتطع منها موسى عصاه، فلما بلغ ذلك كعباً قال صدق الرجل «قصص الأنبياء ص ١٢٣» وعند الطبري ينهي كعب حديثه على هذا النحو: والله أنه لعالم. «تاريخ الطبري، جـ ١ ص ٤٦٤».

(٣٣) قصص الأنبياء، للثعلبي، ص ٦٦، تفسير الطبري، جـ ٣٠، ص ٤٧، وتاريخ الطبري.

(٣٤) قصص الأنبياء، للثعلبي، ص ٦٦، تفسير الطبري، جـ ٣٠، ص ٤٧، وتاريخ الطبري جـ ١، ص ٢٩٢.

(٣٥) قصص الأنبياء، للثعلبي، ص ٢٥٤، تفسير الطبري، جـ ١٦، ص ٨.

(٣٦) راجع:

Ahlwardt: Verzeichnis der Arabischen Handschriften Bd I p. 292 ff. N. 737.

(٣٧) C. Brokelmann: Geschichte der arabischen Litteratur B. I p. 350. Noeldeke und Schwally: Geschichte der Qorans II p. 173.

(٣٨) راجع مقالة العالم بروكلمان عن الثعلبي في دائرة المعارف الإسلامية.

ونلاحظ هنا، أن أغلب ما ذكره الطبري من القصص على لسان كعب، خاص بموضوعات موجودة في كتاب العهد القديم، والقليل النادر يتعلق بموضوعات من الإنجيل أو من تاريخ العرب في الجاهلية.

أما الثعلبي فينسب لكعب كثيراً من الموضوعات اليهودية والمسيحية والجاهلية العربية على حد سواء، وهذا مما يرجح ما ذهبنا إليه، من أن الثعلبي اطلع على مراجع لم يعرفها الطبري.

وبعبارة مختصرة نلاحظ أن المصادر القديمة لا تنسب لكعب من الروايات المتعلقة بموضوعات غير يهودية، إلاّ القليل النادر، أما المراجع المتأخرة، فقد اختلط فيها الحابل بالنابل، ولم تميز بين الموضوعات، التي توافق عقلية كعب، والموضوعات التي تخالفها فنسبت إليه كثيراً من الروايات الخاصة بالمصادر المسيحية، مع أن كعباً، وهو يهودي الأصل، لم يتميز إلاّ بالموضوعات المأخوذة من المصادر اليهودية.

وإليك بعض الأمثلة، التي تدل على أن الثعلبي قد اعتمد على مراجع أخرى غير كتب الطبري ففي قصة الصديق،[٣٩] وفي أخبار أيوب[٤٠]، وما أصيب به من بلاء لم يرو الطبري شيئاً مطلقاً عن كعب، بل جل ما ذكره عن هذين الرجلين رواه عن وهب بن منبه، في حين أننا نجد الثعلبي، قد نسب لكعب في قصة يوسف ست روايات وفي قصة أيوب روايتين[٤١].

على أن كعباً، لم يكن عند الثعلبي أعظم الرواة، بل أغلب الروايات عنده مروي على لساني وهب بن منبه ومحمد بن اسحق.

وقد نسب الثعلبي لكعب روايات عن الخضر وصالح ويحيى وزكريا وعيسى، أما الطبري فلم ينسب إليه شيئاً من ذلك، لأنه كما ذكرنا يتحاشى في أكثر الأحوال أن ينسب لكعب روايات تتعلق بموضوعات غير يهودية، لأنه يعرف أن الحبر اليهودي لا يعلم شيئاً كثيراً عن الموضوعات، التي لم يرد لها ذكر في التوراة والتلمود والآداب الدينية اليهودية.

وعند الثعلبي نوع من القصص، يرويه على لسان كعب، فيه وصف لهيئة الأنبياء وتحليل دقيق لملامح وجوههم، ليستدل منها على أخلاقهم وكنه عقلياتهم، فقد ورد على لسان كعب، أن هرون بن عمران، كان رجلاً فصيح اللسان بيّن

---

(٣٩) تفسير الطبري، جـ ١٢، ص ٨٣، وجـ ١٣ ص ١، وتاريخ الطبري، جـ ١، ص ٣٧١.

(٤٠) تفسير الطبري، جـ ١٧ ص ٣٨، وتاريخ الطبري جـ ١ ص ٣٦١.

(٤١) راجع ما ذكر عندنا عن تقسيم الموضوعات المنسوبة لكعب الأحبار في قصص الأنبياء للثعلبي.

الكلام إذ تكلم، تكلم بتؤدة وعلم، وكان أطول من موسى، وكان على رأسه شامة وعلى طرف لسانه أيضاً شـــامة سوداء، وكان موسى بن عمران، رجلاً آدم اللون طويلاً، كأنه من رجال أزد شنوأة[٤٢] وكان بلسان موسى عقـــدة وثقل وسرعة وعجلة، وكان أيضاً على طرف لسانه شامة سوداء[٤٣].

وكان أيوب رجلاً عظيم الرأس، جعد الشعر، حسن العينين، والخلـــق قصـــير العنـــق غلـــيظ الســـاقين والساعدين، وكان مكتوباً على جبهته المبتلى الصابر[٤٤].

وصف كعب الأحبار المسيح وصفاً بليغاً، ذكر فيه: كان عيسى بن مريم رجلاً أحمر، ماثلاً إلى البياض، ما هو سبط الرأس ولم يدهن رأسه قط، وكان عيسى يمشي حافياً ولم يتخذ بيتاً ولا حلية ولا متاعاً ولا ثيابـــاً ولا ورقاً إلاّ قوت يومه، وكان حيثما غابت الشمس صف قدميه وصلى حتى يصبح.. وكان أشعس الـــرأس صـــغير الوجه[٤٥] وقد أبدع كعب في وصف حسن يوسف الصديق إبداعاً كبيراً حيث يقول: وأعطى الله يوسف من الحسن والجمال، ما لم يعطه أحداً من الناس.. فكان حسن يوسف كضوء النهار، وكان يوسف أبيض اللون، جميل الوجه، جعد الشعر، ضخم العينين مستوى الخلقة، غليظ الساقين والعضدين والساعدين، خميص البطن، أقني الأنف صغير السرة، وكان بخده الأيمن خال أسود، وكان ذلك الخال يزين وجهه وكان بين عينيه شامة بيضاء، كأنها القمر ليلة البدر، وكانت أهداب عينيه تشبه قوادم النسور، وكان إذا ابتسم رؤي النور من ضواحكه، وإذا تكلم رأيت شـــعاع النور يشرق من بين ثناياه، لا يقدر بنو آدم ولا أحد على وصف يوسف...[٤٦].

وقد نسب الشاعر الفارسي الفردوسي ما جاء في قصيدته القصصية عن يوسف وزليخا من وصف جمال يوسف الخلاب إلى كعب الأحبار[٤٧].

---

(٤٢) ازد شنوأة قبيلة من قبائل اليمن «راجع اللسان، جـ ٤ ص ٣٨.»

(٤٣) قصص الأنبياء، للثعلبي، ص ١٢٠، راجع ما ورد عن العقدة بلسان موسى في كتاب: مدراش رباه كتاب الخروج ٢٧، يلقوط شمعوني ١٦٦.

(٤٤) قصص الأنبياء، للثعلبي، ص ١٠٦.

(٤٥) قصص الأنبياء، للثعلبي، ٢٧٠.

(٤٦) قصص الأنبياء، للثعلبي، ص ٧٦.

(٤٧) راجع النص الفارسي لقصيدة يوسف وزليخا طبع العالم.
H. Ethè : Anecdota Oxoniensia, Oxford 1908, p. 264.

وكذلك يصف كعب يحيى بن زكريا حيث يقول: كان يحيى بن زكريا نبياً، حسن الوجه والصورة، لين الجناح، قليل الشعر، قصير الأصابع، طويل الأنف، مقرون الحاجبين، رقيق الصوت كثير الغيرة، قوياً في طاعة الله، وقد ساد الناس في عبادة الله وطاعته[٤٨].

وليس من الضروري أن نعتقد، أن هذه التفاصيل الوافية في وصف الأنبياء، وفي تحليل ملامحهم حقيقية وصحيحة، أو أنها حقيقة مروية عن كعب، أو عن غيره من الرواة الأقدمين، وإنما يستدل منها على مقدار ما بذله جامعو القصص من العناية والبراعة، في إيجاد نوع من القصص، يشتمل على أوصاف تحليلية، تثير إعجاب الجماهير، التي كانت تميل إلى هذا النوع من الأدب، ونسب الجامعون لهذا النوع من التحليل لكعب ولغيره من المحدثين، لأنهم وجدوا بعض روايات من هذا النوع منسوبة إليهم، فلما وجدوا رغبة الجمهور متزايدة إلى هذا النوع اخترعوا فيه ما شاؤوا، ونسجوا على نفس المنوال، ونسبوه إلى نفس الرواة، استدعاءً لثقة الجمهور به واعتقاده بصحته.

ومن العجيب أننا وجدنا في صحيح مسلم، أحاديث نبوية، تتضمن وصفاً لهيئة الأنبياء، كالتي وردت عند الثعلبي على لسان كعب الأحبار[٤٩].

وإذا كان ابن سعد، يروي قصة مرض الملك حزقيا، على لسان كعب، فالثعلبي يدمجها في قصة كبيرة مروية على لسان ابن اسحق،[٥٠] وإذا كانت القصة المذكورة عند ابن سعد، قريبة في نصها من نص الأصل الموجود في سفر الملوك من العهد القديم، فهي عند الثعلبي مروية على أسلوبه الشعبي المألوف مع التصرف المعروف عنه في قصصه، وقد ذكر الجاحظ قصة العقاب، الذي أنزله الله على سيدنا آدم وحواء والحوت مروية على لسان كعب،[٥١] ولكن الثعلبي لم ينسبها إلى كعب.

---

(٤٨) قصص الأنبياء، للثعلبي، ص ٢٦٣.

(٤٩) صحيح مسلم، جـ ١ ص ٢٤٨.

(٥٠) قصص الأنبياء، للثعلبي، ص ٢٢٩.

(٥١) كتاب الحيوان، للجاحظ طبع مصر سنة ١٣٢٣ جـ ٤، ص ٦٦، وقصص الأنبياء، للثعلبي ص ٢٢ ــ ٢٤، ويلاحظ الجاحظ بعد نقله القصة المروية على لسان كعب ما يأتي: وأنا أظن أن كثيراً مما يحكى عن كعب أنه قال مكتوب في التوراة، إنه إنما قال نجد في الكتب، وهو إنما يعني كتب الأنبياء والذي يتوارثونه من كتب سليمان وما في كتبهم من كتب إشعيا...

د ــ قصة الخضر وكعب الأحبار

لم يذكر الثعلبي اسم كعب في قصة الخضر إلاّ مرة واحدة، في رواية شاركه فيها غيره من المحدثين[٥٢] ولكن غير الثعلبي من القصاص، ذكر اسم كعب في هذه القصة عدة مرات[٥٣] وإذا كان الثعلبي يذكر اسم كعب في قصة الخضر مرة واحدة فقط، فقد ذكر غيره من العلماء اسم نوف البكالي، الذي هو ابن امرأة كعب الأحبار وكان نوف قد قص على الناس بالكوفة «بأن موسى صاحب بني إسرائيل ليس بموسى صاحب الخضر، ولما سمع ذلك ابن عباس قال: كذب عدو الله[٥٤]، وفي رواية أخرى يقص سعيد بن جبير، أنه بينما كان جالساً عند ابن عباس وعنده نفر من أهل الكتاب فقال بعضهم: يا أبا العباس إن نوفاً ابن امرأة كعب يزعم عن كعب أن موسى النبي الذي طلب العلم إنما هو موسى بن منشا فقال ابن عباس: أنوف يقول هذا؟ فقال سعيد: نعم أنا سمعت نوفاً يقول ذلك. قال: أنت سمعته يا سعيد؟ قال: نعم فقال ابن عباس: كذب نوف[٥٥] ويقول العالم جولدتسيهر عن هذه الحادثة: ولعلها نظرية متأخرة قُدمت ونُسبت إلى رجال الرواية في الزمن القديم[٥٦].

على كل حال يظهر أن نوف البكالي لم يتأثر من معارضة المعارضين، ولم يرجع عن رأيه في موسى، الذي التقى بعبد صالح من عباد الله، ولم يستطع معه

---

(٥٢) قصص الأنبياء، للثعلبي، ص ١٥٨. «قال كعب وغيره».

(٥٣) كتاب الإصابة، لابن حجر، ج ١، ص ٨٨٣، ٨٨٥، ٨٨٦، ٨٩٠، المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص ١٣، زكريا بن محمد القزويني: عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، طبع ويستنفلد، سنة ١٨٤٩، ج ١ ص ١٠٦، حسين بن محمد الدياربكري: الخميس في أحوال أنفس نفيس المعروف بتاريخ الخميس طبع مصر، سنة ١٣٠٢، ج ١ ص ١٢٠، حلية الأولياء في طبقات الأصفياء، ج ٦، ص ٧، ومع أنه لم يذكر اسم كعب في قصة الخضر في كتاب قصص الأنبياء، للكسائي المطبوع فإن النسخة المخطوطة التي في المتحف البريطاني تذكر بين الرواة اسم كعب الأحبار أيضاً.

راجع:

Manuscripts of the British Museum Or, 3054 Folio 154 b. I. Friedländer: Die Hadirlegende, p. 94.

(٥٤) صحيح البخاري، طبع بولاق، ج ٦ ص ٨٨، صحيح مسلم، ج ٥ ص ١٣٤، صحيح الترمذي، ج ١٢، ص ٢ ــ ٣، تاريخ الطبري، ج ١ ص ٤١٧، تفسير الطبري، ج ١٥ ص ١٦٦.

(٥٥) تفسير الطبري، ج ١٥ ص ١٦٦ ــ ١٦٧. I. Goldziher: Muhm. Studien II p. 163.

صبراً[٥٧] فقال إن موسى صاحب الخضر هو موسى بن منشا[٥٨].

وتذكرنا هذه الحادثة بما حدث لكعب مع عائشة أم المؤمنين في تفسير آية «يا أخت هــرون» كمــا ورد ذكر ذلك فيما مضى، وذاعت نظرية نوف البكالي وانتشرت على مر الزمان، وظهرت قصة أساسها، أن موســى صاحب الخضر هو موسى بن منشا بن يوسف الصديق، الذي أرسله الله إلى أسباط بني إسرائيل، حينما ظهر فيهم الملك فغيروا سيرتهم وأفسدوا في الأرض، وفشا فيهم السحر والكهانة فبعث الله تعالى إليهم موسى بن منشا رسولاً يدعوهم إلى عبادة الله وأداء أمره وإقامة سننه وذلك قبل مولد موسى بن عمران بمائتي سنة فأطاعه قــوم مــنهم وعصاه آخرون... فلبث فيهم ما شاء الله أن يلبث يقيم أمرهم ويصلح أحوالهم ثم مات...[٥٩].

وبما أن الطبري وغيره من القدماء لم يذكروا اسم كعب في القصص التي رووها عن الخضــر فيغلــب على الظن أن الأسانيد التي نسبت بعد ذلك إلى كعب في هذه القصة أنما نشأت بعد أن ذاع رأي نوف البكالي في أن موسى صاحب الخضر سابق لموسى صاحب بني إسرائيل[٦٠].

هـ ــ كعب الأحبار وقصة إِرَم ذَاتِ الْعِمَادِ

يميل أغلب علماء المسلمين إلى الاعتقاد بأن « إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلاد»[٦١] اســم مكان فهي عندهم اصطلاح جغرافي فمنهم من قال إنها مدينة الإسكندرية[٦٢] ومنهم من قال إنها مدينة دمشــق[٦٣] ورأى غير هؤلاء وهؤلاء أنه اسم لمدينة في جنوب بلاد العرب بين صنعاء وحضرموت[٦٤] وذكر الهمــداني أن في اليمن جبلا باسم إِرَم ذَاتِ الْعِمَادِ[٦٥].

---

(٥٧) سورة الكهف، آية ٦٤ ــ ١٦٧.

(٥٨) تاريخ الطبري، ج ١ ص ٤٢٤.

(٥٩) قصص الأنبياء، للثعلبي، ص ٩٩، وقصص الأنبياء، للكسائي، ص ١٩٤.

(٦٠) I. Friedländer: Die Hadirlegende, p. 75.

(٦١) سورة الفجر، آية ٦ ــ ٧.

(٦٢) تفسير الطبري، ج ٣٠ ص ٩٦، ياقوت ج ١ ص ٢١٢.

(٦٣) تفسير الطبري، ج ٣٠ ص ٩٦. وتاريخ الطبري، ج ١ ص ٧٤٨، وج ٢ ص ٥٨٧. الهمداني: كتاب البلدان، ص ١٢٣، الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ٨٠.

(٣٤) القزويني: عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات ج ١ ص ٢٩، معجم البلدان، لياقوت ج ١ ص ١٢٣، قصص الأنبياء، للثعلبي، ص ١٠٠.

(٦٥) الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ٣.

وظهرت بعد ذلك قصة عن «إِرَم ذَاتِ الْعِمَادِ» متصلة بكعب الأحبار ذكرها الثعلبي على هذا المنـوال: كان رجل يقال له عبد الله بن قلابة خرج في طلب إبل له قد ضلت فبينما هو في فلوات الصحراء إذ وقع علـى مدينة عليها حصن، وحول ذلك الحصن قصور عظيمة، وأعلام طوال، فلما دنا منها ظن أن فيها من يسأله عـن إبله، فلم ير فيها أحداً لا داخلاً ولا خارجاً، فنزل عن ناقته وعقلها، وسل سيفه ودخل من باب الحصن فـإذا هـو ببابيْن عظيميْن لم ير في الدنيا أعظم منهما ولا أطول.. ثم فتح أحد البابين فإذا هو بمدينة لم ير الراؤون مثلها قط، وإذا هو بقصور معلقة تحتها أعمدة من زبرجد وياقوت وفوق كل قصر منها غرف مبنية بالذهب والفضة واللؤلؤ الخ... ثم إنه حمل من لؤلؤها وبنادق المسك والزعفران وخرج حتى أتى ناقته فركبها، حتى رجع إلى اليمن وباع بعض ذلك اللؤلؤ... ففشا خبره حتى بلغ معاوية بن أبي سفيان، فأمر بإشخاصه ولما خلا به سأله عن أمر المدينة وما رأى فيها فاستعظم ذلك معاوية وقال: كيف أصنع حتى أعرف اسم هذه المدينة ولمن هي ومن بناها.. فأشـار عليه بعض جلسائه بإشخاص كعب الأحبار الذي يخبر أمير المؤمنين بخبرها وأمر هذا الرجل.. وأرسل معاويـة إلى كعب الأحبار فلما حضر قال: يا أبا اسحق لأمر رجوت أن يكون علمه عندك فقال: يا أمير المـؤمنين علـى الخبير سقطت، سل عما بدا لك، فقال له أخبرنا يا أبا اسحق هل بلغك أن في الدنيا مدينة مبنية بالـذهب والفضـة وعمدها من زبرجد وياقوت فقال كعب والذي نفسي بيده لقد ظننت أني سأسأل قبل أن يسألني أحد عن تلك المدينة وما فيها ولكن أخبرك بها يا أمير المؤمنين، ولمن هي ومن بناها، أما تلك المدينة فهي حق على مـا بلـغ أميـر المؤمنين، وعلى ما وصفت له، وأما الذي بناها فشداد بن عاد وأما المدينة فهي، « إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ، الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلادِ» فقال له معاوية يا أبا اسحق حدثني بحديثها يرحمك الله، فقال كعب: يا أمير المؤمنين إن عاداً كان له ابنان سمى أحدهما شديداً، والآخر شداداً، فهلك عاد وبقي ولداه بعده فملكا وتجبرا وقهرا كل الـبلاد وأخـذاها عنوةً وقهراً حتى دان لهما جميع الناس.. ومات شديد بن عاد وبقي شداد فملك وحده ولم ينازعه أحد وكانت لـه الدنيا.. ثم أمر ببناء مدينة إِرَم ذَاتِ الْعِمَادِ.. وأقام العمال في بنائها ثلثمائة سنة.. ثم سار الملك شداد ليسكنها وبلغ منها موضعاً وبقي بينه وبين دخولها مسيرة يوم وليلة بعث الله تعالى عليه وعلى كل من كان معه صـيحة مـن السماء فأهلكتهم ولم يبقَ أحد منهم ولم يدخل شداد ومن كان معه إِرَم ذَاتِ الْعِمَادِ، ولم يقدر أحد منهم على الدخول فيها حتى الساعة، وإنه سيدخلها رجل من المسلمين في زمانك ويرى فيها فيحدث بها عاين ولا يصدق.. ثم التفت كعب فرأى عبد الله بن قلابة فقال هو ذاك الرجل. فقال معاوية: يا أبا اسحق لقد فضلك الله على غيرك من العلماء ولقد أعطيت من علم الأولين والآخرين ما لم يعطه أحد فقال: يا أمير المؤمنين والذي نفس كعب بيده ما خلق الله شيئاً إلاّ وقد فسره في التوراة لعبده موسى عليه السلام

تفسيراً، وإن هذا القرآن أشد وعيداً وكفى بالله شهيداً...[٦٦].

وأما ما يلفت النظر في هذا الموضوع أن هذه القصة المطولة، لم تذكر مطلقاً في المصادر القديمة، وكان الأولى أن يذكرها الذين كتبوا عن اليمن قبل الإسلام أو أن يذكرها الطبري في تفسيره، لأنه اهتم بها خاصة وجاء بروايات عديدة عن معنى إِرَم ذَاتِ الْعِمَادِ.

والذي ورد على لسان الخليفة إلى كعب يبعث على السخرية لأن فيه مبالغة لا توافق الأمر الواقع، حتى بدا للأستاذ ونسينك أن المسعودي كان يشك في صحتها لأنه اكتفى بالإشارة إليها فقط[٦٧].

على أن الثعلبي وياقوت والقزويني، قد ذكروا هذه القصة مفصلة تفصيلاً وافياً كأنها صحيحة لا غبار عليها، ولكن يجب ألا يغيب عن البال، إن الذين اخترعوا هذه القصة قد وقعوا في غلطة تاريخية لا تغتفر، وهي أنهم نسوا أن كعباً توفي في عهد عثمان بن عفان، وقد كان معاوية حينذاك أميراً على الجيش في الشام لا أمير المؤمنين ولم يلقب بخليفة المسلمين، إلاّ بعد أن تولى عرش الخلافة في سنة ٤٠ للهجرة.

ويظهر أن أحد علماء المسلمين بالأندلس قد تنبه إلى هذه الغلطة الفاحشة فقدم رواية كعب الأحبار في قصة إِرَم ذَاتِ الْعِمَادِ إلى عهد الخليفة عمر بن الخطاب[٦٨].

و ــ كعب الأحبار وكتاب قصص الأنبياء للكسائي

قبل أن نتعرض للبحث في أمر روايات كعب في قصص الأنبياء للكسائي، يجدر بنا أن نلقي هذا السؤال: من هو الكسائي صاحب **قصص الأنبياء**؟

كان الرأي الراسخ عند علماء المسلمين، أن مؤلف **قصص الأنبياء**، هو الكسائي

---

(٦٦) قصص الأنبياء، للثعلبي، ص ١٠٠ ــ ١٠٢، مروج الذهب، للمسعودي، طبع باريس سنة ١٨٦١، جـ ٤ ص ٨٨، ويضيف المسعودي بعد أن يأتي على ملخص الحكاية ما يأتي: فإن كان هذا الخبر عن كعب حقاً في هذه المدينة فهو حسن وهو خبر يدخله الفساد من جهة النقل وغيره. معجم البلدان، لياقوت، جـ ١ ص ٢١٥، القزويني، عجائب المخلوقات، جـ ١ ص ٩.

(٦٧) مقالة العالم ونسنك Wensinck. **عن إِرَم ذَاتِ الْعِمَادِ، بدائرة المعارف الإسلامية جـ ٢، ص ٥٥٥ وهو المشهور بتأليف كتاب «مفتاح كنوز السنة» للأحاديث النبوية، ونقله إلى العربية محمد فؤاد عبد الباقي سنة ١٣٥٢ هـ «١٩٣٣ م» طبع مصر،**

(٦٨) Commentaire Historique sur le Poème d'Ibn Abdoun B. Badroun.

علي بن حمزة المتوفى سنة ١٨٥ للهجرة، أعلم علماء عصره في النحو(٦٩) ولكن العالم ليدسبرسكي كان أول من شك في هذا الرأي وقال ان الكسائي صاحب **قصص الأنبياء** لم يكن النحوي الشهير بل كان كسائياً آخر توفي في غضون القرن الخامس للهجرة(٧٠) ووافقه العالم ولهوزن Wellhausen في شكه في أن يكـــون مؤلـــف **قصـــص الأنبياء** هو الكسائي النحوي غير أنه أنكر وجود عالم آخر باسم الكسائي في القرن الخامس للهجرة بل اعتقــد أن الكتاب دُوّن في القرن الخامس ونسب للكسائي المشهور الذي توفي بالقرن الثاني للهجرة(٧١) أما العالمان بروكلمان Brokelmann(٧٢) وأهلورت Ahlwardt فيميلان إلى الرأي الأول القائل بأنّ عالماً باسم الكسائي عاش في القرن الخامس للهجرة، وألف كتاب **قصص الأنبياء**، الذي وصل إلينا(٧٤).

والذي يلوح لنا أن قصص الكسائي لم تدون قبل قصص الثعلبي، أي أنها لم تكن من تأليف الكسائي القديم مطلقاً، بدليل أن الثعلبي لم يذكرها بين مراجعه لا تصريحاً ولا تلميحاً، ولم يشر إليها أي إشارة في جميع ما ذكر من الكتب في تفسيره أو قصصه، فيحق لنا أن نفترض أن الكسائي الثاني أو المنتحل، لم يدون كتابه قبـــل ســـنة ٤٢٧ للهجرة.

وإذا كان الثعلبي قد استخلص كتاب قصصه من تفسيره ليكون مناسباً للعقلية الشعبية، التي لها حظ مـــن الأدب الديني، فإن الكسائي قد قصد بكتابه عامة الشعب فقط، فهو يمثل تمثـــيلاً صـــحيحاً أدب القصـــة الشـــعبية الإسلامية، وقد مكن القارئ من أن يستفيد من قصصه الفائدة التي أرادها له فمحا الأسانيد محواً يكاد يكون تامـــاً لأن قارئه ليس في حاجة إلى أسانيد، ولا يرغب البحث عن صحة الرواية ولا يريد أن يقف على أصـــلها وإنمـــا يريد أن يستمتع بلذة قراءتها فقط.

---

(٦٩) حاجي خليفة: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ج ٤ رقم ٣٧ ى ٩٤.

(٧٠) Lidzbarski: De Propheticis p. 25.

(٧١) راجع الرسالة التي وضعت تحت إشراف العالم ولهوزن:

J. Eisenberg: Die Prophetenlegenden des Al-Kisai. Bern 1898. p. 5.

(٧٢) راجع مقالة بروكلمان في دائرة المعارف الإسلامية عن الكسائي مؤلف قصص الأنبياء.

(٧٣) Ahlwardt: Verzeirhnis der Arabischen Handschriften I. p. 407

(٧٤) وإذا كان كتاب قصص الأنبياء، للكسائي في الأزمنة الغابرة، قد وجد رواجاً عظيماً بين الطبقات الشعبية في الأمصار الإسلامية، فإنه بقي مجهولاً تقريباً في عصرنا، وقد نشر أحد العلماء المستشرقين ملخصاً منه ــ لا النص الكامل في سن ١٩٢٢

Kisai: Vita Prophetarum Ed. J. Eisenberg.

على أن الملخص أيضاً بقي إلى يومنا روضة أنف لم يطأه غير عدد قليل من العلماء في البلدان الشرقية، وقد اعتمدنا في بحثنا عن قصص الكسائي على الملخص المطبوع المذكور.

وقد أدى حذف الأسانيد إلى إيجاد قصص كاملة مندمج بعضها في بعض، كأنها حوادث تاريخية متسلسلة مع الزمن المتتابع، فالقارئ ينجذب من موضوع إلى آخر كما ينجذب حين يقرأ رواية شعبية كروايات عنترة بن شداد، أو حكايات ألف ليلة وليلة، لذلك نجح الكسائي نجاحاً باهراً، وأخذ كتابه ينتشر بسرعة في الأمصار الإسلامية، وشرع المؤلفون ينسجون على منواله في تأليف القصص، ومن هنا يبدو لنا، أن أدب قصص الأنبياء وصل إلى ذروة رفعته بكتاب الكسائي، الذي ألفه في أواسط القرن الخامس للهجرة.

أما إسناده إذا وجد حاجة لوضعه، فكان غاية في البساطة لا يزيد على ما يأتي: قال النبي، روى ابن عباس، قال كعب.

وعلى الإجمال فإن عدد رواياته قليل، وهم ابن عباس وكعب ووهب بن منبه وعلي بن أبي طالب، وعبد الله بن سلام، وأبو ذر الغفاري وقتادة، ومجاهد، وأبي وعنده قصص كثيرة لا رواة لها، وغيرها تصدر باسم رواية ثم تستمر عدة صفحات تنتقل في أثنائها من موضوع إلى آخر بدون انقطاع كأنها من رواية محدث واحد مع أنها في المصادر التي سبقت الكسائي متفرقة في أحاديث كثيرة وروايات منفردة من مصادر مختلفة، كما أن فيها زيادات غير موجودة في كتب المتقدمين، ويعد كعب الأحبار أهم راوٍ عند الكسائي إذ يروى على لسانه ٦٣ رواية[٧٥] في حين أنه ينسب لوهب بن منبه ٥١ رواية، ولم يذكر ابن عباس أكثر من ٣٢ مرة،

---

(٧٥) راجع قصص الأنبياء، للكسائي، ص ٦ «موضوع: اللوح»، ص ٨، ص ١١، «خلق الأرض» ص ١٢، ص ١٣، ص ١٥، روايتان، «خلق السموات» ص ١٥، «خلق الشمس»، ص ٢٢ «الجن»، ص ٢٥، ص ٢٦، ص ٣٣، «آدم»، ص ٣٧، «الحية»، ص ٤٣، «ادم»، ص ٥٢، ص ٥٣، «النسر والحوت»، ص ٥٣، «الجراد»، ص ٥٥، «يونس والحوت»، ص ٦٢ «حواء»، ص ٦٤، ص ٦٥، روايتان «الحب»، ص ٦٦، «الديك»، ص ٦٩، «آدم»، ص ٧٥، «المؤمنون» ص ٨٧، ص ٩١، ص ٩٩، ص ١٠١، ص ١٠٢، «نوح»، ص ١٠٤، ص ١٠٥، ص ١٠٩، «هود»، ص ١١٠، «صالح»، ص ١١٧ «ثمود»، ص ١٢١ «نمروذ» ص ١٤١، ص ١٤٥ «إبراهيم»، ص ١٥٠، «اسحق»، ص ١٥٦، ص ١٧٦، ص ١٧٩، «يوسف»، ص ١٩٠ «شعيب»، ص ١٩٤، «موسى بن منشا»، ص ١٩٥، «فرعون»، ص ١٩٩، «آسيا بنت مزاحم»، ص ٢٠٣، «تابوت موسى»، ص ٢١١، «هرون»، ص ٢١٦، «فرعون»، ص ٢١٧، «فلق أليم»، ص ٢٣٣، «عوج»، ص ٢٤٠، ص ٢٤١، «يوشع بن نون»، ص ٢٤٢، «ابن كالب»، ص ٢٥٠، «صموئيل»، ص ٢٧٠، «داود»، ص ٢٨٥، «سبأ»، ص ٢٩٥، «سليمان»، ص ٢٩٦، «يونس ومتى»، ص ٣٠١، «زكريا».

أما المحدثون الآخرون فلم يذكرهم الكسائي إلاّ في أحوال نادرة جداً،[٧٦]، وإذا كان الثعلبي لم يذكر كعباً في قصة نوح، فإنه عند الكسائي الراوي الرئيسي في هذا الموضوع[٧٧].

وإذا كان الطبري لم يذكر كعباً مطلقاً في تفسيره لسورة يوسف، وإذا كان الثعلبي لم يذكر كعباً في قصة يوسف إلاّ في ست روايات، فإنه عند الكسائي الراوي الأول في الفصل عن يوسف[٧٨].

ثم إذا كان الطبري لم يذكر كعباً في الموضوعات المسيحية، ولم يذكره الثعلبي بين رواة القصص المسيحية إلاّ نادراً، فإنه عند الكسائي يروي الأخبار المسيحية والأخبار اليهودية على حد سواء.

ولكن يجب ألا يغيب عن البال، إن الموضوعات المسيحية قليلة الوجود عند الكسائي، لأنه لا يتناول أكثر من قصتين مسيحيتين هما يونس بن متى، وقصة عيسى بن مريم[٧٩] في حين أن الثعلبي قد أورد كثيراً من القصص المسيحية[٨٠].

وكذلك لم يذكر الكسائي قصة أهل الكهف ولا قصة ذي القرنين التي لها أقاصيص من مصادر مسيحية مختلفة[٨١] بينما أن الثعلبي قد ذكرهما[٨٢].

وكذلك أهمل الكسائي قصص لقمان ومواعظه وأصحاب الأخدود وعاد، وإِرَم ذَاتِ الْعِمَادِ، التي هي من أخبار الجاهلية العربية. وقد جاءت مفصلة

---

(٧٦) أبو ذر الغفاري، ص ٧، عبد الله بن سلام، ص ١٢، أبو هريرة، ص ١١، وص ٤٣، سعيد بن المسيب، ص ٥٤، مكحول، ص ٥٤، قتادة، ص ١١، وص ٦٧، وص ١٥٢، عمر بن عبد العزيز، ص ٢١٦، مجاهد ص ١٥٢، الدهاك، ص ١٥٢، ابن عمر، ص ١٥٢، الحسن، ص ١٥٢، الحسين ص ١٥٢، مقاتل ص ١٩٥.

(٧٧) قصص الأنبياء، للكسائي، ٨٧ ــ ١٠١، قصص الأنبياء، للثعلبي، ص ٣٤ ــ ٤٠.

(٧٨) قصص الأنبياء، للكسائي، ص ١٥٦ ــ ١٧٦.

(٧٩) قصص الأنبياء، للكسائي، ص ٢٩٦ ــ ٣٠١ وص ٣٠١ ــ ٣٠٩.

(٨٠) زكريا، ص ٢٥٩، ص ٢٦٦، مريم، ص ٢٥٩، يحيى، ص ٢٦١ ــ ٢٦٦، عيسى، ص ٢٦٦ ــ ٢٨٢ قصة الرسل الثلاثة، ص ٢٨٢، يونس بن متى، ص ٢٨٤، جرجيس ص ٢٩٩.

(٨١) راجع مقالة العالم ونسينك Wensinck **في دائرة المعارف الإسلامية عن أهل الكهف وراجع رسالة العالم نولدكه**
Th. Noeldeke: Beiträge zur Geschichte des Alexander Romans, Wien 1890.

(٨٢) قصص الأنبياء، للثعلبي، ص ٢٥٠ ــ ٢٥٩، وص ٢٨٧ ــ ٢٩٩.

عند الثعلبي[٨٣].

وأغلب ما يتناوله الكسائي من الموضوعات في حكايات العهد القديم، يأتي بعضها كأنه مترجم ترجمة دقيقة، عما ورد في النص العبري الأصلي، كان المؤلف يهودي أو من اليهود، الذين أسلموا في القرن الخامس للهجرة، أو كأنه مسلم درس العبرية دراسة كافية لذلك ليس بعجيب أن نجد له ترجمة لآيات من التوراة مطابقة للأصل كل المطابقة دون زيادة أو نقص[٨٤].

وكذلك إذا جاء ببعض القصص المذكورة في التلمود، فهي جد قريبة من الأصل مع أنها غير موجودة عند الثعلبي.

ولم يقع الكسائي في الأخطاء، التي وقع فيها الثعلبي فقد ذكر هذا أن سارة زوج إبراهيم، هي أن يوسف الصديق[٨٥] أما الكسائي فيعرف أن رحيل هي أم يوسف كما ذكر في التوراة[٨٦].

وإذا قال الكسائي إن يوسف ورث جماله عن أمه فهذا هو بعينه ما جاء في المصادر اليهودية[٨٧].

وما ذكره الكسائي عن الملائكة الذين يحملون العرش هو بعينه ما ذكر في سفر حزقيال وفي المصادر اليهودية الأخرى[٨٨].

وإذا كان ما ذكره الكسائي عن الفيوم من أنها إحدى البلاد التي استوطنها يوسف وذريته، لا يستند إلى الحقيقة التاريخية وليس مذكوراً في التوراة، فهو من الأحاديث الشائعة بين يهود مصر إلى يومنا هذا فهم يقولون، بأن أرض جوشن التي استوطنها بنو إسرائيل كانت في بقعة الفيوم[٨٩].

---

(٨٣) قصص الأنبياء، للثعلبي، ص ٢٤٣ ــ ٢٤٦، وص ٣٠٥ ــ ٣٠٧.

(٨٤) راجع مثلاً النصوص الآتية: ص ١٥٢: قد حملت بابنين يتضاربان في بطني.. فلما تمت أيام الحمل.. وأحدهما متعلقاً بعقب أخيه «قابل النص العبري من التوراة: سفر التكوين، فصل ٢٥ آية ٢٢ ــ ص ١٥٣: فأما الجسد جسد عيسو «قابل النص العبري من سفر التكوين، فصل ٢٧ آية ٢٢ ــ ص ١٥٤» ألا تعلم أن الصغيرة، لا تتزوج قبل الكبيرة، «قابل النص العبري من سفر التكوين فصل ٢٩ آية ٢٦».

(٨٥) قصص الأنبياء، للثعلبي ص ٧٦.

(٨٦) قصص الأنبياء، للكسائي، ص ١٥٦، وراجع سفر التكوين، فصل ٣٠ آية ٢٥.

(٨٧) مدراش: يلقوط شمعوني ٣٩ و١٨.

(٨٨) قصص الأنبياء، للكسائي، ص ٧ وسفر حزقيال، الفصل الأول، آية ٦ ــ ١٠.

(٨٩) قصص الأنبياء، للكسائي، ص ١٧٨.

كل هذا يدل على أن الكسائي مؤلف **قصص الأنبياء**، كان متصلاً بالهيئات اليهودية المصرية في عصره.

وكذلك ذكر الكسائي، أن الحية وجدت في الجنة مع آدم وحواء، كانت على هيئة جمل، وهذا أيضاً يوافق ما ورد في أدب القصة اليهودية(٩٠).

وقد جمع الأصبهاني، جملة روايات قصصية منسوبة لكعب، لم تندمج في المصادر والمراجع المذكورة(٩١).

• • •

---

(٩٠) قصص الأنبياء، للكسائي ص ٣٧ وراجع:

(٩١) قصة حمل عظام يوسف من مصر إلى الأرض المقدسة «حلية الأولياء، جـ ٦، ص ٢٧» وقصة إبراهيم الذي كان يقري الضيف «حلية الأولياء، جـ ٦، ص ٢٧ ــ ٢٩» وقصة موسى الذي كلمه الله بالألسنة كلها «حلية الأولياء، جـ ٦، ص ٢٩» وقصة يأجوج ومأجوج «حلية الأولياء، جـ ٦، ص ٢٣ ــ ٢٤».

الباب الرابع

مكانة كعب الأحبار في أدب القصص الشعبية

التي نشأت بعد القرن الخامس للهجرة

كعب الأحبار في أدب الشيعة ــ كعب الأحبار في أدب الطائفة الأندلسية (Moriscos) ــ كعب الأحبار في قصص ألف ليلة وليلة وفي قصص عنترة بن شداد ــ كعب الأحبار في أدب القصة الشعبية الإسلامية في القرون الحديثة ــ كعب الأحبار وأدب قصص الأنبياء الإسلامية في المصنفات اليهودية.

أ ــ كعب الأحبار في أدب الشيعة

أخذ مؤلفو القصص الشعبية بعد القرن الخامس للهجرة يدمجون اسم كعب في مؤلفاتهم، وينتحلون باسمه الروايات والقصص الجديدة، حتى ليندر أن يحدث لغيره من الصحابة والتابعين من رجال القرن الأول للهجرة ما حدث له في تلك العصور المتأخرة وقد راج اسمه في الأدب الشعبي في جميع الأمصار الإسلامية بين العامة.

وقد نشر له نوع خاص من القصص كان منها تلك القصص اليوسفية التي يستطيع الباحث بوساطتها أن يتتبع مكانة كعب عند مؤلفي القصص ويتعرف منزلته على مر الزمان وتوالي القرون.

وقد أسلفنا أن الطبري لم يذكر كعباً في قصص يوسف مطلقاً، ولكن الثعلبي ذكر اسمه مع غيره من المحدثين في رواياته عن يوسف، الذي انتشر عند الفرس فقد نسبت قصص يوسف لكعب الأحبار وحده، كأنه لم يكن راوية فحسب بل كان مؤلفاً ترك للأجيال المقبلة مصنفاً عن يوسف الصديق على نحو ما فعل الفردوسي في قصيدته عن يوسف وزليخا التي ذكر فيها كعب الأحبار في مطلعها:

همي كعب أحبار كويد نخست   روايت از كعب دارم درست[١]

وكذلك تغني الشاعر الشيعي كثير المتوفى سنة ١٠٥ للهجرة بمدح محمد بن الحنفية وأشاد بذكر كعب الأحبار على هذا المنوال:

أقـرّ الله عيـني إذ دعـاني	**أميـن الله يلطف في السـؤال**
وأثنى في هـواي علي خيراً	**ويسـأل عن نبي وكيف حالي**
وكيف ذكرت حال أبي خبيب	**وزلـة فعـله عنـد السـؤال**
هـو المهدي خبرنـاه كعب	**أخو الأحبار في الحقب الحوالي**

وكان كثير كيسانياً يرى الرجعة فقيل له: ألقيت كعباً قال: لا. فقيل له: فلم قلت: «خبرناه كعـب» قـال بالتوهم، وكان كثير شيعياً مغالياً، يزعم أن الأرواح تتناسخ[٢].

وذكر العلامة أبو الريحان البيروني، المتوفى سنة ٤٤٠ للهجرة، على لسان كعب الأحبار ما يأتي: ردت الشمس على يوشع بن نون ثلاث ساعات في يوم سحابي ومثل ذلك في ردها يحكيه بله الشيعة في أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام[٣].

وهذه الرواية تعطينا صورة صحيحة للتقلبات التي طرأت على الأسانيد مع مرور الأجيال، وقـد نسـب الثعلبي هذه الرواية للرسول[٤] ورواها الكسائي باسم وهب بن منبه[٥] وقصها الطبري تارة باسم السدي وطـوراً آخر دون إسناد عن أهل التوراة[٦] ثم وردت عند أبي الريحان البيروني على لسان كعب

(١) Yusuf and Zalikha by Firdusy ed. H. Ethé (Anecdota Oxoniensia) Oxford 1908 p. 258 N. 2599.

(٢) أبو الفرج علي بن الحسين القرشي المعروف بالأصبهاني: كتاب الأغاني، طبع بولاق، سنة ١٢٨٥، جـ ٨ ص ٣٣، وراجع ما ورد عن هذه القصيدة في مقالة العالم نولدكه:

Th. Noeldeke: Zur Ausbreitung des Schütismus im Islam XIII, p. 70.

(٣) أبو الريحان البيروني: الآثار الباقية عن القرون الخالية، طبع ليبسيك، سنة ١٨٧٨، ص ٢٤٨، وراجع ما ورد «عن رد الشمس ووقوف القمر حتى انتقم الشعب من أعدائه» سفر يوشع فصل، ١٠ آية ١٢.

(٤) قصص الأنبياء، للثعلبي، ص ١٧١.

(٥) قصص الأنبياء للكسائي، ص ٢٤١.

(٦) تاريخ الطبري ص ٥١٢.

ولا يزال لكعب مكانة عالية في أدب القصة الإسلامية الفارسية حتى العصور الأخيرة القريبة من عهدنا، بدليل وجود رسائل تتضمن قصصاً مروية على لسانه، فقد عثرنا في مكتبة دار الكتب المصرية على رسالتين صغيرتين مخطوطتين منسوبتين لكعب الأحبار، تعرف الأولى باسم «مناجاة سيدنا موسى» عن جعفر بن محمد.. عن كعب الأحبار.

وقد ذكر الثعلبي مضمون هذه الرسالة في أحد فصوله، ولكن بعبارة مختصرة أما في رسالتنا هذه فقد ذكر هذا المضمون بشيء كثير من التصرف مع زيادة تشتمل على محادثة صوفية وعظية.

وليس في المخطوط ما يدل على مؤلفه ولا على تاريخ تأليفه، على أننا نقدر اعتماداً على الخط والورق، أنه كتب في القرن الثاني عشر للهجرة.

وإذا كان الثعلبي ينسب فصله عن مناجاة موسى لكثيرين من الرواة من بينهم كعب، فإن مؤلف هذه الرسالة الصغيرة يرويها عن بكرة أبيها باسم كعب الأحبار، أما وجود اسم جعفر الصادق في سلسلة الأسانيد فإنما يدل على علاقة الرسالة بالأندية الشيعية، على أن هذه الرسالة نفسها مطبوعة ومنتشرة في مصر، ولعل نشرها قد تم بوساطة أفراد الشيعة المقيمين بمصر[٧].

أما المخطوط الثاني الموجود بدار الكتب المصرية فيذكر باسم «**أحاديث قدسية**» مروية عن كعب الأحبار[٨]، وهي من نوع الروايات التي لم تذكر في غيرها من المصادر والمراجع القديمة، ولم يذكر لها مؤلف، على أن هناك تاريخاً ذكر على هذا المنوال: تم الكتاب سنة ١١٤٨[٩] ويلاحظ أن السطر السابع من هذا المخطوط يتضمن النص الآتي: اللهم صلي على محمد وآل محمد وسائر النبيين وآل كل انهارية»

---

(٧) دار الكتب المصرية: فهرس الكتب العربية الموجودة بالدار، سنة ١٩٢٤، ج ١، ص ٣٦٣ وهناك أيضاً نسخة من هذه الرسالة مطبوعة ومتداولة بين عامة الشعب بمصر، وهي غير مؤرخة، ولكنها من المطبوعات الدينية واسمها «مناجاة كليم الله سيدنا موسى بن عمران» وكذلك يوجد منها نسخ مخطوطة أخرى، بعنوان: «كتاب فيه مسائل يسألها موسى ربه تبارك، رواية وهب بن منبه عن كعب الأحبار «راجع:

Katalog der Handschriften der Universitäts Bibliothek zu Leipzig von K, Vollers, p. 58. No. 222-3.

(٨) دار الكتب المصرية وفهرس الكتب العربية بالدار، ج ١، ص ٨٣.

(٩) راجع آخر سطر من المخطوط المذكور.

وهذا النص غير مألوف في غير أدب الشيعة من المسلمين، والرسالة تتضمن شرحاً مفصلاً بالفارسية، وذلك يدل على أنها لم تكن موجهة إلى أفراد الطبقة المستنيرة من الفرس، بل إلى عامتهم ومن ليس له نصيب في معرفة اللغة العربية منهم.

ب ــ كعب الأحبار في أدب الطائفة الإسلامية الأندلسية المعروفة بطائفة المدجنين (Moriscos).

يعرف المسلمون الذين ظلوا مقيمين بالأندلس بعد غلبة الأسبان النصارى عليهم وانتزاعهم الملك من أيديهم بالمسلمين المدجنين[١٠].

وإذا كان الأسبان في أول الأمر بعد انتصارهم قد تسامحوا مع «المدجنين» واليهود بعض التسامح، وأباحوا لهم أن يقيموا شعائر ويتمسكوا بحقوقهم، فإنهم لم يلبثوا طويلاً على ذلك، بل عادوا فضيقوا عليهم مسالك الحياة، وأخذوا يضطهدونهم اضطهاداً شديداً، ويكرهونهم على ترك دين أسلافهم، ويذيقونهم أشد أنواع العذاب، ويسومونهم أفظع ما عرفه التاريخ من الذل والهوان، وذلك عن طريق محاكم التفتيش التي قضت على البقية الباقية من الطوائف الإسلامية واليهودية بأرض الأندلس، وكان من نتيجة ذلك الاضطهاد، أن تنصر ظاهراً عدد غير قليل من المعذبين ولكنهم استمروا يقيمون شعائر دينهم في الخفاء.

على أن المدجنين أخذوا ينسون لغتهم العربية بالتدريج، ويبدلونها بلغة أسبانية مشوبة بألفاظ عربية كثيرة، وكانوا يدونون بهذه اللهجة الأسبانية العربية كثيراً من المصنفات الدينية، إلى أن خرجوا نهائياً في سنة ١٦١٠ ب. م. من الجزيرة الأندلسية، فهاجروا إلى شمال أفريقيا حيث انتشروا في الأمصار الإسلامية.

وكان بعض المدجنين قد عنوا عناية شديدة بقصة يوسف وزليخا مروية على لسان كعب الأحبار[١١]، وهي في الواقع ترجمة إسبانية لما ورد في **قصص الأنبياء**، للثعلبي، عن يوسف الصديق، وليس هناك من فرق سوى أن الثعلبي يعد كعباً واحداً من المحدثين الكثيرين، الذي يروى عنهم هذه القصص، بينما رجال

---

(١٠) وقد سموا بالمدجنين من دجن بالمكان بمعنى ألف الإقامة به... ووجه المناسبة ظاهر، وهو عندما كان يتغلب النصارى على بلاد الإسلام وقد كان يوجد فيهم من لا يتمكن من المهاجرة أو من يعز عليه فراق وطنه فيبقى تحت حكم النصارى ويألف الخضوع لهم فسمي هذا النوع من المسلمين مدجنين.

راجع كتاب الأمير شكيب أرسلان: الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، طبع مصر سنة ١٩٣٦، ج ٢، ص ٢٩٧.

F. Guillen Robles: Leyen das de José hijo de Jacob y de Alejandro Magno. Zaragoza 1888.

طائفة المدجنين ينسبون كل هذه القصص إلى كعب الأحبار وحده الذي يعرف عندهم باسم Caab el histoiador[١٢].

وهناك في لغة طائفة المدجنين رسائل مخطوطة أخرى تتضمن كثيراً من قصص الأنبياء، فيها رسالة مروية على لسان كعب، مؤلفها مجهول وتاريخها يرجع إلى القرن السابع عشر، أي أنها دونت قبل خروج المسلمين نهائياً من الأندلس بزمن قصير[١٣].

وكذلك وصلت إلينا قصة إبراهيم الخليل ونمروذ بهذه اللغة مروية عن كعب[١٤]. وفي النهاية نذكر قصص محمد ربضان «رمضان»[١٥] الذي روى قصة واحدة عن سليمان نبي (Racontamiento de Solaiman Profeta de Allah) وقد نسب المؤلف هذه القصة للرسول نفسه (Profeta Mahoma) كما ورد فيها اسم كعب على هذا المنوال: Cabu el Ajbar، ويوجد في هذه المجموعة قصة عن موسى تشبه ما ورد في قصة مناجاة موسى لربه منسوبة لكعب[١٦].

جـ ـ كعب الأحبار في قصص ألف ليلة وليلة وفي قصة عنترة بن شداد

لم يرد في جميع قصص ألف ليلة وليلة ذكر لكعب الأحبار إلاّ في قصة واحدة هي قصة إِرَم ذَاتِ الْعِمَادِ التي لا تختلف في مضمونها عما جاء عند الثعلبي[١٧].

---

(١٢) ومما يدل على انحطاط اللغة العربية بين طبقات رجال العلم عند المدجنين في طورهم الأخير، تبديل مؤلف قصة يوسف المذكور كلمة الأحبار بالأخبار (El historiado.).

(١٣) Catalogue General des Manuscrits de France, Tome XVIII: Alger par Fagman, p. 555-556 No. 1944.

(١٤) Shapira: Legends bibliques attribuées a Ka'b al Ahbar: Revue des Etudes juives, Tome 69, p. 86 ff.

(١٥) Joseph Morgan: Mahometism fully explained written in Spanish and Arabic Anno 1606 for the instruction of the Moriscos in Spain by Mahomet Rabadan an Arragonian Moor.

(١٦) M. Grünbaum: Neue Beiträge zur semitischen Sagen Kunde-Leiden. 1893-p. 271, 281.

(١٧) كان العالمان برلس وباخر

Perles: Rabbinische Agadas in Tausend und Eine Nacht.

قد رأيا أن بعض أقاصيص ألف ليلة وليلة، مأخوذة من مصادر يهودية، ثم جاء العالم شوفن ووضع رسالة كاملة عن القصص اليهودية التي أدمجت في ألف ليلة وليلة.

Bacher: M.G.W.Y. XXII, p. 332-336. V. Chauvin, une recension égyptienne de 1001 Nuits 1099.

وعندنا أن الحذر والحيطة خير سبيل يسلكه الباحث في مسألة تعيين التأثير المباشر للمراجع اليهودية على ألف ليلة وليلة، ونرى أن أغلب ما اندمج من الموضوعات في ألف ليلة، لم يأت

وكذلك اندمجت في قصة عنترة بن شداد أخبار كثيرة من قصص الأنبياء ذكر أنها مروية عن وهب بن منبه وكعب الأحبار[١٨] كما أنه يوجد هناك ثلاث قصص منسوبة إلى كعب الأحبار وحده[١٩].

د ــ كعب الأحبار في أدب القصة الشعبية الإسلامية في القرون الحديثة

لقد ظل أدب القصة الشعبية محتفظاً بمكانة في النفوس مدى جميع العصور الإسلامية، لأن الشعب كـــان دائماً مقبلاً على الأدب الديني الممزوج بالقصص التي تعينه على فهم دقائق الدين، وتساعده على كشف الغـــامض من الأخبار القرآنية، ويسهل له الطريق للوصول إلى نتيجة حاسمة في الموعظة والاعتبار، لذلك لم ينقطع التأليف في هذا النوع من الأدب الشعبي طيلة العصور الإسلامية جميعها.

على أن الطبقة المستنيرة من المسلمين، كانت ولا تزال تنظر إلى هذا النوع من الإنتاج العقلي نظرة غير راضية، كأنها ترى أنه لا يليق بها أن تعنى به أقل عناية، وقد نظرت بهذه العين نفسها، إلى أدب قصص ألف ليلة وليلة وعنترة وزيد وهلم جرا، مع أن هذه الحكايات هي المقياس الصالح للوقوف على ميول الشعب العقليـــة فـــي شؤون الدنيا والدين، ومثل كثرة التدوين في قصة الشعب الإسلامية في جميع العصور مثـــل الدوحـــة العظيمـــة القديمة، التي توغلت جذورها في أعماق الأرض، وتشعبت فروعها بأوراقها الكثيفة، ممتدة في كل جانب وقد ورد بعض هذه القصص، التي دونت في العصور الحديثة على لسان كعب الأحبار وغيره من المحدثين، الذين عاشـــوا في القرن الأول للهجرة، مثل عبد الله بن عباس، وأبو

من المصادر اليهودية مباشرةً، بل جاء إلى المؤلفين المسلمين من قصص الأنبياء الإسلامية، التي كانت قد راجت رواجاً عظيماً ثم أدمجت بعض أخبارها في مجموعة ألف ليلة وليلة، لذلك نجد قصة بلوقيا المروية عند الثعلبي على لسان عبد الله بن سلام، «قصص الأنبياء، للثعلبي، ص ٣٣٧» دخيلة في حكاية حاسب كريم الدين «ألف ليلة وليلة، طبع بيروت، سنة ١٨٨٠، ج ٢ ص ٨٢٩ ــ ٨٩٣، وحكاية بلوقيا فيها من ص ٨٣٢ ــ ٨٤٤» دون أن يشير الناقل إلى أنها من روايات المحدثين، لأنه ليس من العرف في هذه الحكايات، الإشارة إلى الأسانيد أو إلى المصادر، «وكذلك راجع قصة إِرَم ذَاتِ الْعِمَادِ، في ألف ليلة وليلة، الطبعة المذكورة، ج ٢، ص ٥٧٩ ــ ٥٨٢» وراجع مقالة للمؤلف عن الحكايات اليهودية التي اندمجت في ألف ليلة وليلة في مجلة: מאזנים חשון – שבט, תרצ״ח

(١٨) سيرة عنترة بن شداد، طبع مصر، سنة ١٢٨٦، ص ٧ ــ ٩٠.

(١٩) سيرة عنترة بن شداد، ص ١٨، ص ٢٠، ص ٢٣.

هريرة، وعبد الله بن سلام ووهب بن منبه وغيرهم[٢٠].

ويوجد من هذا الأدب مروياً على لسان كعب رسالتان صغيرتان مخطوطتان منتشرتان في بلاد الجزائر من المغرب، الأولى تشتمل على قصة لسيدنا موسى، ترجع إلى القرن الحادي عشر للهجرة[٢١] والثانية قصة عن سليمان الحكيم دونت سنة ١١٤١ للهجرة[٢٢].

ويوجد بمكتبة برلين، مجموعة من القصص الشعبية، التي دونت حوالي سنة ١٧٥٠ ب. م. رويت فيها القصة الثالثة على لسان كعب الأحبار، وهي تتضمن العقاب الذي ينزله الله بإبليس في يوم الدين[٢٣] وكذلك يوجد بالمكتبة المذكورة مخطوط آخر، دوّن حوالي ١٨٠٠ ب. م.، ويشتمل على قصص يروى في واحدة منها على لسان كعب، موعظة دينية منسوبة للتوراة[٢٤] ثم هناك أيضاً مجموعة ثالثة من القصص في المكتبة المذكورة يروى فيها لكعب ولغيره من المحدثين، مثل ابن مسعود، وسفيان الثوري، وعمر بن عبد العزيز وغيرهم[٢٥].

ونريد أن نشير إلى مجموعة من القصص موجودة بدار الكتب المصرية[٢٦]

---

(٢٠) ولنذكر من هذه القصص على سبيل التمثيل ما يأتي:

(أ) قصة الجمجمة مروية عن كعب الأحبار، مصر وسنة الطبع غير مذكورة، وقصة الجمجمة قديمة العهد كانت متداولة بين المسلمين منذ القرن الثالث للهجرة، وقد نقلها الأصبهاني في مجموعته عن الأولياء «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ج ٦ ص ٩ ــ ١٢» على أن المتأخرين قد توسعوا فيها على كر الزمان حتى وصلت إلينا في المجموعات الشعبية الكثيرة الرواج في الأصقاع الإسلامية وهي حكاية شديدة التأثير وبعيدة المرمى في بغيتها الوعظية.

(ب) نصر السمرقندي: تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين، طبع مصر، سنة ١٣٤٧.

(ج) نصر السمرقندي: بستان العارفين، طبع مصر، سنة ١٣٤٣.

(د) حسن العدوى: مشارق الأنوار في فوز أهل الاعتبار، مصر سنة ١٢٨٠.

(هـ) عبد الرحمن بن أحمد القاضي: دقائق الأخبار في ذكر الجنة والنار، طبع مصر، سنة الطبع غير مذكورة.

(و) عبد الرحمن الصفوى ــ نزهة المجالس ومنتخب النفائس، طبع مصر، سنة ١٢٩٦.

(٢١) Catalogue General des Manuscrits de France, Tome XVIII: Alger par Fagnan, p. 20 No. 68, 3.

(٢٢) ibid, p. 550 No. 1919, 2.

(٢٣) Ahlwardt: Verzeichnis der arabischen Handschriften. Tome VII, p. 481 No. 8503.

(٢٤) ibid, Tome V, p. 24, No. 5423, 2.

(٢٥) ibid, Tome VII, p. 467 No. 8483, 33.

(٢٦) دار الكتب المصرية، فهرس الكتب العربية، ج ٧، ص ٤٤٣.

ورد فيها بعض صفحات باسم كعب الأحبار، وكان ناسخ هذه المجموعة قد ذكر في إحدى الصفحات ما يأتي: وكان الفراغ من هذه النسخة الشريفة في خامس عشر محرم الحرام افتتاح سنة ألف ومائة واثنتين وثلاثين من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام على يد كاتبها أفقر العباد حسن جلبي ابن الحاج مكي[٢٧] ويتضح أن ناسخ هذه المجموعة ليس هو المؤلف لقصصها، بل نقلها فقط من مصادر متعددة وجمعها في مجموعة واحدة، وتشتمل الرواية التي جاءت على لسان كعب على أسباب جديدة لإسلامه لم تذكر في المجاميع القديمة من الروايات الإسلامية[٢٨].

---

(٢٧) راجع نهاية صفحة ١٠٢ من المخطوط المذكور.

(٢٨) ومع أن المجموعة كلها، لم تنشر إلى الآن، وتستحق النشر عن بكرة أبيها، بعد الوصف الشامل والبحث الكامل، فإننا ننقل منها ما روي باسم كعب فقط، حتى لا نخرج عن الموضوع الذي نحن بصدده:

عن كعب رضي الله عنه، قال حذيفة بن اليماني رضي الله عنه: بينما عمر بن الخطاب رضي الله عنه ذات يوم في المسجد، إذ دخل عليه كعب الأحبار رضي الله عنه، فقال: السلام عليكم يا أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة أيكم خليفة رسول الله «صلعم» أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، فقام إليه ابن عباس رضي الله عنه وقال له اقصد أمامك في المحراب فهو خليفة رسول الله عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فأتى إليه وقال السلام عليك يا أمير المؤمنين، فقام إليه عمر بن الخطاب قائماً على قدميه. وقال له: وعليك السلام، لعلك كعب الأحبار الذي أوصانا بأمرك رسول الله «صلعم»، فقال له كعب: أنا ذلك يا عمر رضي الله عنك، فقال له عمر رضي الله عنه: سألتك بالرب الذي هداك لدين الإسلام ألا ما أعلمتنا كيف كان سبب إسلامك، قال كعب: نعم يا عمر كنت في دين اليهودية أخدم حبراً من الأحبار، فقرأت عليه التوراة وحفظتها فوقعت في التوراة على عشرة أسطر طلسمتها اليهود وأمحتها لكي لا يشتهر أمرها، وكنت قد خدمت ذلك الحبر أربعة أعوام فلما أتته الوفاة جلست عند رأسه وقلت له ألم أكن لك ناصحاً في الخدمة قال نعم، فقلت له فهل سألتك فيها حاجة أو طلبت منك أجرة فقال: لا وكفاك من ناصح فقلت له: فلي إليك حاجة، فقال لي: ما هي يا كعب، فقلت له: قرأت في التوراة وحفظتها حرفاً حرفاً وسطراً سطراً فوجدت فيها عشرة أسطر مطلسمة، وأريد منك تفسيرها علي فارتعش وارتعد وأصفر لونه وقال: سألتني عن شيء لا أطلعك والله عليه، فإني أخشى عليك ولكن إذا أنا مت، فسر إلى الحبر الفلاني فإنه أعلم بها مني، ثم أنه مات، لعنة الله عليه، ثم سرت إلى الحبر الذي ذكر لي فخدمته عشرة أعوام فلما أتاه الموت سألت منه مثل ما سألت الحبر الأول فقال لي: أخشى أن أفسرها لك تصير إلى دين محمد بن عبد الله فقلت له أعوذ بالله من ذلك، فأحضر التوراة وقال لي احلف لي عليها أنك لا تصير إلى دين محمد، فحلفت له عليها، فقال لي: يا كعب أما السطر الأول فقرأته في التوراة وفسرته بالعبراني ورأيت بيانه في كتاب الله: بسم الله الرحمن الرحيم، ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلاّ وأنتم مسلمون، فقلت للحبر والسطر الثاني، قال الحبر: قرأته في التوراة وفسرته بالعبراني، ورأيت بيانه في كتاب الله تعالى: أم كنتم شهدا إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل واسحق إلهاً واحداً ونحن له مسلمون. قال كعب

هـ ــ كعب الأحبار وأدب قصص الأنبياء الإسلامية في المصنفات اليهودية

إذا كان أدب القصة الإسلامية منذ نشأته إلى أواخر القرن الخامس للهجرة قد تغذى من المصادر اليهودية قبل كل شيء، فإنه حدث منذ القرن السادس رد فعل قوي أدى إلى أن القصة الإسلامية أخذت تتوغل في أدب اليهود بالأمصار الإسلامية عامة وبمصر خاصة.

وهناك مجموعات في قصص الأنبياء عند اليهود، يتضح أنها متأثرة من القصة الإسلامية فإن مصنفات مثل فصول الحبر اليعازر(٢٩) وفصول الياهو(٣٠) والسفر

الأحبار رضي الله عنه فقلت للحبر: والسطر الثالث، قال: قرأته في التوراة وفسرته بالعبراني، ووجدت بيان ذلك في كتاب الله تعالى قوله تعالى: ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً، ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين، قال كعب رضي الله عنه فقلت للحبر: والسطر الرابع قال: قرأته في التوراة وفسرته بالعبراني ووجدت بيان ذلك في كتاب الله تعالى وهو قوله: أفغير دين الله يبغون وله أسلم من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً وإليه يرجعون، قال كعب الأحبار فقلت له والسطر الخامس: قال قرأته في التوراة وفسرته بالعبرانية ورأيت بيانه في كتاب الله تعالى وهو قوله: ومن يبتغِ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين، قال كعب: فقلت للحبر: والسادس، قال: قرأته في التوراة وفسرته بالعبرانية ووجدت بيانه في كتاب الله وهو قوله تعالى: يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلاّ وأنتم مسلمون. قال كعب الأحبار رضي الله عنه فقلت للحبر، والسطر السابع، قال قرأته في التوراة وفسرته بالعبرانية ورأيت بيانه في كتاب الله تعالى وهو قوله تعالى: قل إن هداني ربي إلى صراط مستقيم ديناً قيماً ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين. قال كعب رضي الله عنه فقلت للحبر، والسطر الثامن قال: قرأته في التوراة وفسرته بالعبرانية ووجدت بيانه في كتاب الله تعالى، وهو قوله: اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً، قال كعب الأحبار رضي الله عنه فقلت للحبر والسطر التاسع، فقال: قرأته في التوراة وفسرته بالعبرانية ووجدت بيانه في كتاب الله تعالى وهو قوله تعالى: وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل، قال كعب الأحبار رضي الله عنه فقلت للحبر: والسطر العاشر فسكت، فكررت عليه وقلت له سألتك بما في التوراة إلاّ ما أكملت علي هذه الأسطر فقال: أخشى عليك لكن أحلف لي على التوراة ثانياً، فكتب لي على الأرض فقرأت ما كتب لي فإذا هو مكتوب لا إله إلاّ الله محمد رسول الله، إنْ الدين عند الله الإسلام. فقلت للحبر لأي شيء لم تفعل بهذه العشرة الأسطر ولأي شيء أنتم طلسمتموها وغيرتم أشكالها. فسكت وتغير لونه. فقلت له أما أنا فأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فلما سمعني شخص ورأيته قد ضرب برأسه الأرض وشهق شهقة فارق الدنيا، لعنة الله عليه، ففررت من ذلك الدين إلى دين الإسلام، وهذا هو سبب إسلامي يا أمير المؤمنين، تمت بعون الله تعالى «راجع المخطوط المذكورة أعلاه من ص ٥٩ ــ ٦١».

29. פרקי דרבי אליעזר
30. פרקי דבי אליהו

المستقيم[٣١] والمصنف الجميل تأليف الحبر نسيم[٣٢] تشتمل على روايات تلمودية عليها مسحة من أدب القصص الإسلامية، ويبدو ذلك من أسلوبها العربي ومن أسماء الأعلام العربية وآداب قصتها الإسلامية[٣٣].

وليس رد الفعل هذا قاصراً على اقتباس النصوص والأسماء والأعلام فحسب، بل يشمل نقل قصص كاملة أخذها المؤلفون اليهود من العربية، ولم يلتفتوا إلى أصلها في المصادر العبرية، والذين لا يعلمون مقدار تأثير الآداب العربية من شعر وفلسفة ومنطق وعلوم في يهود القرون الوسطى بالأمصار الإسلامية يعدون ذلك ظاهرة غريبة، ولكن الذين يعلمون مبلغ تأثير الحياة العقلية العربية والإسلامية في الثقافة اليهودية، إبان القرون الوسطى من الناحيتيْن الدينية والدنيوية، يفهمون سبب الاعتماد على المراجع العربية الإسلامية في القصص بدلاً من الرجوع مباشرة إلى المصادر اليهودية.

وقد تصرف المؤلفون اليهود في القصص التي أدخلوها في البيئة اليهودية من الأدب العربي حتى تلائم العقلية اليهودية والعقائد الإسرائيلية.

وقد وجد بين أوراق الجنيزة اليهودية بمصر نسختان من قصة إبراهيم ونمرود وإذا كانت هذه القصة عند الثعلبي منسوبة إلى جملة محدثين دون أن يذكر بينهم كعب فإنها عند الكسائي مروية عن كعب وابن عباس وكان الثعلبي قد دبجها في فصل صغير، ولكنها عند الكسائي طويلة ومفصلة تفصيلاً وافياً، ومجموعة من مصادر متعددة.

---

31. ספר הישר
32. חבור יפה דרבי נסים

(٣٣) وقد عني علماء اليهود منذ القرن الأخير في مسألة تأثير القصص الإسلامية على ما دون في أدب قصص الأنبياء عند اليهود في أثناء القرون الوسطى نود أن نشير إلى أهم المراجع فيها:

M. Sleinschneider: Polemische und apologetische Litteratur p. 304, 338, 339 f.
Zunz: Gottesdienstliche Vortäge: 66-74, 154-156, 166, 271-278 270-287.
Lidzbarski: De Propheticis p. 57-64.
Yellinek: Beth Hamidrash p. 25-34.
B. Shapira: Legends Bibliques attribuées a Ka'b al Ahbar: Revue des Etudes juives, Tome 69, p. 86-107. Tome 70, p. 37-43.
Horovitz: Enc. Judaica VIII, p. 580.
Aptowitzer: Kain und Abel. Wien 123, 129, 154, 156, 158, 182.
Bacher: Jewish Enc, XII, 60-61.
Israel Levi: Revue des Etudes juives XVIII, 83-89.
M. Grünbaum: Neue Beiträge, p. 127-131.

وقد أخذها اليهود عن الكسائي ونسبوها كلها إلى كعب الأحبار[٣٤] والنسختان المذكورتان ترجع أولاهما إلى القرن الثاني عشر ب. م. وترجع الأخرى إلى القرن السابع عشر ب. م. وهما مدونتان باللغة العربية بحروف عبرية وقد ورد اسم كعب في النسخة القديمة على هذا المنوال: قال كعب الأحبار.

أما في النسخة الثانية المتأخرة فقد ورد الإسناد على هذا المنوال: قال المحدث (אמר המגיד)

ولا شك عندنا أن النسخة القديمة منقولة مباشرة من مجموعة عربية إسلامية بشهادة أسلوبها العربي الصريح، وبدليل الآيات القرآنية، التي وردت فيها والنظريات الإسلامية الخالصة، التي لا وجود لها في المصادر اليهودية مطلقاً.

أما النسخة الثانية فمدونة بلغة عربية شعبية مشوبة بكلمات عبرية، فأسلوبها يشبه أسلوب المحادثة بالعربية عند يهود القاهرة في عهدنا، لذلك لا يبعد أن يكون أحد أدباء اليهود من الذين كان لهم إلمام بأدب القصة، قد نقلها وهيأها للقارئ اليهودي بعد أن حذف منها كل ما لا يلائم العقلية اليهودية ولا يتفق مع التقاليد الإسرائيلية بمصر[٣٥].

Strack: Einleitung in den Talmud 217f 223. (Meller: Monatschrift für Leschichte und Wissenschaft des Yudentums 1925, LXIX, 42-54.)

George Foote Moore: Judaism I, 138-139. 145-146.

Gaster: Exampla of the Rabbis 32-39.

D. Sidersky: Les origines des Légendes Musulmanes, Paris 1933.

(٣٤) ويظهر أنه كان لهذه القصة رواج عظيم في حارة اليهود بمصر، لكثرة النسخ التي وجدت منها عند اليهود بمصر، وقد عثرنا على نسخة واحدة منها، مكتوبة باللغة العربية بحروف عبرية، ولكن مما يؤسف له أنها ناقصة من الأول ومن الآخر، بإسناد من كعب الأحبار أولاً، وكذلك لا يمكننا تعيين زمن تدوينها، وعلى كل حال فالصفحات الباقية من هذه النسخة تعطي لنا صورة صحيحة لأسلوب اليهود العربي في أثناء القرون الوسطى وهذا الأسلوب عربي مشوب بألفاظ غير قليلة من اللغة العبرية كما هو شأن العربية المألوف عند يهود القاهرة على يومنا الحالي.

(٣٥) راجع ما ورد عن المخطوطين في مقالة العالم (Shapira) شابيرا في مجلة:

Revue des Etudes Juives. Tome 69, p. 86-107, Tome 70, p. 37-43.

فهرس†

† تمت إضافة الفهرس على الكتاب لمساعد القارئ.